

الملاح الاسلوبية في بلاغة الخطيب القزويني

أ.م.د ياسر علي الخالدي & م.باحث: سليمة فاضل حبيب

كلية الآداب / جامعة القادسية

توطئة

بعد أن طالعت كتاب الدكتور محمد عبد المطلب، (البلاغة العربية قراءة أخرى)، شدني اليه كثير من المباحث التي اظنها اعادت الامل للكثيرين ممن حسبوا ان طريق البحث في بلاغتنا العربية القديمة قد اغلق، وان وسائل البحث فيها قد استنفذت. وكان مما تعلق فكري فيه قوله: ان الجهد البلاغي قد توقف تقريبا . عند المرحلة السكاكية، لكن هذا التوقف كان محصورا في الاصول، اما الفروع فقد تم تجاوزها تنظيرا وتطبيقا، مما يعني ان التوقف كان (توقفا متحركا)، على معنى ان تابعي السكاكي قد داروا في فلكه، لكنهم قد وسعوا دوائر بحثه طولا وعمقا، طولا بالإضافة والتعليقات، وعمقا بالشروح والتفصيلات والتعليقات^١. وهذا ينطبق على الخطيب القزويني الذي ما ان تقرأ عنوان كتابيه: (تلخيص مفتاح العلوم)، و(الايضاح) الذي جاء اكثر توضيحا من الاول؛ تظن انه مجرد تلخيص لكتاب السكاكي مفتاح العلوم، لكن الحقيقة ان (التلخيص) كتاب اشتهر به الخطيب القزويني قديما، وتأثر به كثير من دارسي البلاغة حديثا، رغم ما قيل عنه من الجمود والتعقيد، والجفاف، ولو كان لا يستحق عناء البحث والدراسة لما كتبت عنه الشروح والتلخيصات قديما، ولما اصبحت آراؤه البلاغية دائرة استدراك ونقاش كما رأينا في الفصل السابق.

بناء على ما تقدم وانطلاقا من مقولة: القراءة الاستكشافية تقرأ القديم بعقل جديد وتعيد صياغته بلغة جديدة قادرة على الاستهلاك ثم الانتاج^٢، سأحاول دراسة الملاح الاسلوبية لدى القزويني، وحسبي كي أسير قدما في هذا المجال ان السكاكي بمنطقيته المعروفة وعلى الرغم من التهم الموجهة اليه بأنه وراء جمود البلاغة العربية وعقم مباحثها؛ تناولته اقلام الباحثين في اسلوبية البلاغة القديمة، واستطاعوا ان يظهروا الكثير من القضايا الاسلوبية الحديثة في بلاغته^٣. ولو اقتصر الامر على تلك الاتهامات دونما التعرض لبلاغته بشكل جاد لما استطاع الباحثون في البلاغة العربية ان يتتوروا بما وصلت اليه الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة.

والقزويني على الرغم من تلخيصه كتاب المفتاح، الا ان ملامحه البلاغية واضحة والتي حاولت ان أستخلصها من دراستي له، كما ان لديه ملامحا اسلوبية يمكن ان أظهرها من خلال نصه البلاغي

الذي بين يدي، وما دامت البلاغة نتاج العقلانية والمنهجية الانسانية، وبعبارة اخرى هي منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان وهي الكلام وبصفتها منهجا فإنها تتميز بمجموعة من القواعد، ليست مرصوفة بطريقة تعسفية، بل لقد ربط بينها من زوايا نظر قائمة على اساس منطقي، يكون في مجموعها بناء معقدا، يتكون هيكله من التبعية والمشابهة والتحديد^٤.

فليس عيبا ان تتصف بلاغة المتأخرين واولهم القزويني بالمنطقية، وهذا لا يعني ان تخلو بلاغته الا من المنطق، ومن يقرأ الوقفات التي وقف عندها القزويني من النظر في كلام السكاكي في مفتاح العلوم، والمنهج الذي نظم فيه مادة السكاكي البلاغية، والتعريفات الاصطلاحية التي تميز بها ، يلمس روحا بلاغية كانت تكتب لأجل البلاغة علما وفنا.

إن قضايا الفصاحة، وتعريفها وتقسيمها عند القزويني، ونظره في شروطها، وخصائص الاصوات فيها، وتعليقه على بعض التعريفات التي جاءت عن السكاكي، وحرصه على استخدام المصطلح الذي يليق علميا بالمادة البلاغية، وتأويله لبعض الآيات القرآنية الكريمة، واهتمامه ب(الاساليب)، ومراعاة مقتضى الحال، وتباين المقامات في استدعاء صور كلامية معينة، وارتباط القيم البلاغية بالدلالات العقلية لا الوضعية، مجتمعة ستبين لنا وجود اثر اسلوبي في مباحث بلاغة القزويني، وستظهر لنا تأصيلا للموروث البلاغي حتى وان كان منطقيا، من الناحية الاسلوبية. ولن يثني في هذا المبحث صعوبة المعيارية التي وصفت بها بلاغة القزويني، لان هذه المعيارية في الحقيقة هي الاساس الذي تستند اليه الدراسات البلاغية الحديثة التي تنحو الى الاسلوبية. وبما ان مضمون البحث هنا عن اسلوبية القزويني؛ سأجعل البحث من وجهة نظر الاسلوبيين، على: مثلق، نص، مبدع، وسأحاول الكشف عن هذه المستويات في بلاغة القزويني. تاركة ورائي تلك الآراء التي سادت كالنار في الحطب، بين اوساط الباحثين حول بلاغته، هذا العالم الجهد الذي ووجه بالصد والقدر والنقد، حتى وصف بانه السبب وراء جمود البلاغة، ووصفت جهوده بانها خنقت البلاغة وقتلتها، مقتدية بمقولة عبد القاهر الجرجاني: (الكلام ليس بمغن، ولا القول نافع، ولا الحجة مسموعة، حتى تجد من فيه عون لك، ومن اذا ابى ذاك طبعه فرده اليك ، وفتح سمعه لك، ورفع الحجاب بينه وبينك، واخذ به الى حيث انت، وصرف ناظره الى الجهة التي اليها اومات، فاستبدل بالنفار انسا، واراك من بعد الالباء قبولا)^٥.

ولست ادعي ان للقزويني بصمة اسلوبية واضحة المعالم، بل ملاحح تعرفت عليها من خلال قراءته، وطول التدقيق في مباحثه، لان الهدف العام من رسالتي كان أن أبحث عن مكانة هذا العالم، واثره الدراسات البلاغية الحديثة؛ بما فيها من ابحاث وراء، وعلوم بلاغية حديثة تربعت الاسلوبية على عرشها.

المبحث الاول

المبدع والمتلقي

إن في التفكير البلاغي كثيرا من الجوانب الطريفة التي يعتقد الباحثون انها لم تفقد نجاعتها في مواجهة التحليل الادبي، اضافة الى ما فيها من مظاهر المعاصرة^٦، فتراثنا لا يخلو من الكثير من العناصر التي تعتمدها الدراسات الاسلوبية الحديثة، في تحليل النص والخطاب على حد سواء ومنها طرفا (المتكلم والسامع)، او (القائل والسامع) اذا لم نقل (المبدع والمتلقي)، باعتبار ما اصطلح عليه القدماء على طرفي الاتصال؛ فالجاحظ مثلا يرد عنه مصطلحي (القائل والسامع) في تعريفه للبيان: (البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان. ومن اي جنس كان الدليل، لان مدار الامر التي يجري اليها القائل والسامع، انما هي الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع)^٧. وبعد ان نقرأ مؤلفات الجاحظ نجده قد اهتدى في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية الى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابس، وهو اول مفكر عربي نقف في تراثه على نظرية متكاملة تقدر ان الكلام، وهو المظهر العملي لوجود اللغة المجرد، ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب ان نراعي فيه، بالإضافة الى الناحية اللغوية المحضة، جملة من العوامل الاخرى كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر من روابط^٨. فالبلاغيون القدامى وان اقتضت ظروف عصرهم ان تكون البلاغة في نشأتها شفاهية كلامية^٩، الا ان ما ورثناه عن القدماء فنا مطولا لتشكيل الجملة على اسس بلاغية عاشت زمنا طويلا، وهذه الاسس هي التي افرزت لنا معظم اتجاهاتنا النقدية في اخريات القرن الماضي ومطلع هذا القرن^{١٠}.

وحين وضعت نص القزويني الذي جاء عنه في مؤلفه: (الايضاح)، تحت مجهر البحث عن عناصر وملاحح اسلوبية، لم اعدم من ذلك؛ لأنه اهتم بمسائل كثيرة يستند اليها البحث الاسلوبي المعاصر ومنها (المبدع والمتلقي)، حتى وان كان ذلك الاهتمام لا يشكل نظرية متكاملة في الدراسات الاسلوبية المعاصرة. فكل نص له ظروف انتاج خاصة، لا سيما النص القديم وعلينا ان لا نتوقع من النص القديم ما نتوقعه من نصوص حديثة معاصرة، لذلك ينبغي علينا لو اردنا قراءة التراث قراءة ثانية، لغرض فهمه في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، علينا ان نقرأ بمستويين متتاليين ومتعاضدين:

الاول: قراءته في ضوء سياقه التاريخي وظروف انتاجه؛ لنحدد الدلالات الحقيقية لهذا النص او ذاك.

ثم نتناول في المستوى الثاني: البذور الحداثية فيه، والتي قد تبدو للوهلة الاولى انها غريبة عن فهمنا النقدي الحديث، لا تربطها به صلة او قرابة، لكن اذا انعمنا النظر فيها المرة تلو الاخرى نستطيع

بلا شك . ان نضع ايدينا على عناصر حدائثة خصبة يمكن ان نحتضنها، وننميها في ظل الدراسات اللسانية الحديثة^{١١}.

مما لا يخفى على كل باحث في اللغة ان من اسباب التعقيد في بلاغتنا العربية القديمة؛ انها نشأت في بيئة المتكلمين والاصوليين، فما من علم من اولئك الجهابذة الا له ارتباط او مشاركة او صلة ما بعلم الكلام او علم الاصول، ابتداء من الجاحظ، ومرورا بالجرجاني، والرازي(٦٠٦هـ)، وانتهاء بالسكاكي، والقزويني، والتفتازاني(٧٩٢هـ)، وحازم القرطاجني(٦٨٤هـ)، وهؤلاء كلهم من كبار المتكلمين^{١٢}، لكنهم على الرغم من ذلك اثروا في البلاغة العربية، واثروا هذا هو الذي اصاب النجاح في صبغ البلاغة بمنهجها الذي ورثناه، وعلى الرغم من كونهم لم يصيبوا نجاح سواهم؛ الا انهم بما تميزوا به من براعة فكرية وقدرة حاجية تركوا أثرا ملحوظا في صلاية تحليلاتهم الذهنية^{١٣}.

وهذا ما نلاحظه عند الخطيب القزويني، فعند قراءة بلاغته التي نقلها عن الجرجاني وابن سنان والسكاكي، وطريقة تنسيقه لمباحث مفتاح السكاكي، وبما اضافها هو من فكره وذهنه، نجده يدور حول محاور . عند تدقيق النظر فيها . تجد انها تقترب من البلاغة الحديثة، ولها القابلية على ان تكون بذرة من البذور التي وضعها القدامى في تربة البلاغة العربية، والتي تصلح أن تكون شجرة مثمرة تأتي أكلها كل حين.

المبدع

لم يعدم المتكلم من اهتمام القزويني في مباحثه جميعا، بل من اوائل الملاحح الاسلوبية التي اكتشفتها لديه في مقدمة كتابه الايضاح، هو مرونته في الحديث عن الفصاحة والبلاغة، وانه لم يجد فيما بلغه من اقوال من سبقه ، الى ما يشير الى الفرق بين البلاغة والفصاحة، وهل انهما صفة لـ (الكلام) ام صفة لـ (المتكلم)^{١٤}؟.

وهو في طرحه لإشكالية وجوب التفريق بين الموصوف بالفصاحة والبلاغة، يدور في محور (المتكلم) الذي يشكل الطرف الاول لولادة النص، سواء عند القدامى او عند المحدثين، فهو يشكل عنصرا اساسيا في البلاغة القديمة، ومحورا من مجموعة محاور اهتمت بها الدراسة الاسلوبية. واستوقفني ان القزويني ينظر لـ (المتكلم)، كمتكلم يحمل عناصر ذاتية، من الطبيعي ان تضافى على طاقة النص، لكنه عندما يحاول التفريق بين بلاغة المتكلم وفصاحته ، وبين بلاغة الكلام وفصاحته، يحاول ان يجد للكلام استقلالية عن المتكلم ولكن ليس على سبيل الفصل بينهما؛ بل على سبيل اعطاء الكلام من المميزات ما يجعله قابلا للتأثر بالسياقات المحيطة به، بمعنى ان تفريق القزويني بين فصاحة الكلام وبلاغته، عن فصاحة المتكلم وبلاغته؛ يعود لكون الكلام شيئا موضوعيا يقع وسطا بين شيئين ذاتيين هما المبدع

والمتلقي، لان اللغة التي يتكون منها الكلام كما يراها احد الباحثين المحدثين، لها وجودها الموضوعي المتميز من فكر المؤلف الذاتي^{١٥}.

وبلاغة ذلك النص، ماهي الا نتيجة لما اقتضاه الظرف من المتكلم، وما يؤول اليه عند السامع. ولو لم يكن القزويني ينظر الى الكلام، على انه يحمل طاقات تعبيرية، تأخذ من المتكلم، وتعطي للسامع، لما فرق بين بلاغتهما وفصاحتهما، والدليل على نظر القزويني للكلام من زاوية تأثره بالسياق، تعريفه لبلاغة الكلام ولبلاغة المتكلم^{١٦}، والتفريق بينهما.

فالقزويني حين فرق بين فصاحة المتكلم وبلاغته، وبين فصاحة الكلام وبلاغته، لم يقتصر على تعريف البلاغة اصطلاحاً، بل ميز بين عنصرين من عناصر الاسلوبية، كما ان في قوله: "ان كلا من الفصاحة والبلاغة تقعان صفة للكلام والمتكلم"^{١٧} ملمحا اسلوبيا آخر يحسب له، في الدراسات الاسلوبية الحديثة؛ لأنه مثل للكلام الفصيح او البليغ بقوله: قصيدة فصيحة او بليغة، وهي من (المسموع) عادة في تلك العصور، ومثل ايضا بقوله: رسالة فصيحة او بليغة، ومما لا شك فيه ان الرسالة من جنس (المقروء)، والدراسات الاسلوبية الحديثة تهتم بدراسة النص واثره في المتلقي سواء اكان عن طريق السماع ام القراءة^{١٨}، كذلك قوله حين مثل لبلاغة المتكلم او فصاحته: كما في قولك: شاعر فصيح او بليغ، وكاتب فصيح او بليغ، فالشاعر يقال عنه انه فصيح او بليغ حين يسمع شعره، ويقال عن الكاتب فصيح او بليغ حين يقرأ كلامه.

كثيرا ما يتردد في أوساط الباحثين والدارسين أن المقصود من دراسة البلاغة والادب والنقد هو النص الادبي فقط شعرا كان او نثرا ، وتطور هذا الاعتقاد ليشمل الفنون الادبية الحديثة كالمسرحية، والمقالة، وغيرها من صنوف التأليف، وفي رأي المتواضع ان الحقيقة ليست بهذه الصورة بل ان كل نص هو بشكل ما (بلاغة) اي انه يمتلك وظيفة تأثيرية، وبهذا الاعتبار فالبلاغة تمثل منهجا للفهم النصي مرجعه التأثير^{١٩}.

وهذا الرأي نتج عندي من خلال قراءة بلاغة الخطيب القزويني، اذ تصور لي بعد التتبع والاستقصاء فكرة: ان الخطيب عندما كتب في البلاغة وجمع آراء من سبقه لم يكتب لأجل بلاغة النص الادبي فقط بل لأجل بلاغة كل ما يمكن ان يكون نصا قابلا للتأثير حتى لو كان حوارا بين شخصين، وهذا أحد الاسس التي يتردد صداها في اروقة الدراسات الاسلوبية الحديثة حين تتصور ان كل نص هو بشكل ما بلاغة، فتصورا للبلاغة من هذا القبيل يستلزم ضرورة وجود علم عام للنص يكون صالحا، لا لدراسة النصوص الادبية وحدها بل لدراسة غيرها من النصوص على اختلافها^{٢٠}. ووفق ما سبق استنتج ان الوصف العلمي لبلاغة القدماء وخصوصا المتأخرين منهم كالقزويني والذي يمكنه ان يتبنى الفكر

والتعابير المعيارية في بلاغة هؤلاء، سيتمح الباحث فسحة يرى من خلالها مرونة وقابلية البلاغة القديمة في تطبيقها على علوم ونصوص جديدة.

ومن هنا يمكن ان نقرب بين ما وصفت به بلاغة القزويني وحتى السكاكي من معيارية، وبين هذه النصوص التي يمكن ان تكون حتى من غير ما كتب في الادب، بشرط وجود عنصري الايصال والتأثير.

وكل ما قدمت الحديث عنه في الفقرة السابقة يؤكد اهتمام القزويني بفكرة (المقصدية) فهو حين يقسم الاسناد الى حقيقة عقلية والى مجاز عقلي، ثم يعرف الحقيقة العقلية بأنها: (اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر)^{٢١}. فهو وان كان كلامه في باب علم المعاني الذي يهتم بدراسة الجانب المتعلق بالمعنى الوظيفي للجملة العربية، الا انه يبحث فيها عن الاحوال التي قد يرد في سياقها صفات الالفاظ التي تتحقق بها العملية الاسنادية التي يتكفل بها المتكلم، فتراه يقسم احوال اعتقاد المتكلم على أربعة اضرب^{٢٢}:

١. ما يطابق الواقع واعتقاد المتكلم كقول من يتحلى بصفة الايمان بقدرة الله تعالى على جميع الامور: (انبت الله البقل) و (شفى الله المريض).
 ٢. وما يطابق الواقع دون اعتقاده ، كقول المعتزلي، الذي يحاول اخفاء هويته المذهبية عن لا يعرف حاله: (خالق الافعال كلها هو الله تعالى) وهو لا يؤمن بمطلقية الافعال كلها الى الله تعالى.
 ٣. وما يطابق اعتقاد المتكلم دون الواقع كقول من يجهل بحقيقة نسبه الشفاء الى الله تعالى: (شفى الطبيب المريض)، ومنه قوله تعالى حكاية عن بعض الكفار: ((وما يهلكنا الا الدهر)).
 ٤. واخيرا ما لا يطابق شيئا منهما كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب^{٢٣}.
- ولو اردنا ان نخضع كلام القزويني عن المتكلم والعلاقة بين اعتقاده وبين الواقع الذي يحيط به، للمقاييس الاسلوبية الحديثة، لاكتشفنا ان حديث القزويني يدور حول هذا العنصر المهم في الدراسات البلاغية والاسلوبية، بما اسماه او عبر عنه سوسير ب(حرية المزاج) وان لكل فرد قدرته الخاصة في التعبير عن فكرته باللغة التي يختارها، ومن هنا جاءت (حرية القول)^{٢٤}، والاختلاف الوحيد بين طرح سوسير لهذه الفكرة وبين طرح القزويني هو في لغة الطرح، فالأول جاء بلغة واصطلاحات عصرية، والثاني وصف الفكرة بلغة اصولية بحتة، وكلاهما يصب في صوب واحد.

فالقزويني استطاع بأدواته الفقهية والاصولية الكلاسيكية والرتبية في عصرنا ان يبين لنا فكرة اسلوبية حديثة، مفادها ان الحرية المتاحة للمبدع في اختياره للغة التي يعبر بها عن افكاره واعتقاداته لها حدودها التي يجب مراعاتها، فكل شخص . على ما جاء عن (كوهين) . حر في ان يقول ما يشاء، بشرط

ان يكون ما يقوله مفهوما ممن يوجه اليه الخطاب؛ لان اللغة في الاصل همزة وصل، ولن يتحقق ذلك اذا كان الخطاب غير مفهوم^{٢٥}.

ولو تبادر الى اذهاننا سؤال وهو هل كان ما يقصده القزويني في باب حديثه عن الحقيقة العقلية والمجاز العقلي، الحديث عن المتكلم العادي ام المتكلم المبدع؟ وهل كان في ذهنه فرق بين الاثنين ام لا؟ وللإجابة عن السؤال يمكن ان نركز على مسألتين: الاولى ان المتكلم حتى لو اتصف بصفة الابداع، فمن شروط ابداعه ان يكون عالما بطرائق الاسناد التي يحتاج اليها المتكلم العادي لغرض التواصل الطبيعي مع السامع، ويحتاج اليها المتكلم المبدع لغرض التأثير والاستمالة في المتلقي.

والمسألة الثانية ان الخطيب قد بحث صفة (الحقيقة العقلية)، و (المجاز العقلي) كونهما لهما علاقة بطبيعة الصياغة اللغوية، التي تؤدي وظيفتها بالتالي عند المتلقي. باعتبار ان (الكلام) هو فعل فردي وهو عقلي مقصود^{٢٦}، وجل ما يبتغيه القزويني من دراسته الحقيقة العقلية والمجاز العقلي له علاقة بـ(المقصدية) التي تحيط بجانب المتكلم.

ولم يغب عن القزويني ان يلمح صفة (القصدية) التي يضطلع بها المتكلم سواء اكان مبدعا ام متكلم عاديا، بقوله: (سمي الاسناد في هذين القسمين عقليا؛ لاستناده الى العقل دون الوضع؛ لان اسناد الكلمة الى الكلمة شيء يحصل (بقصد المتكلم) دون وضع اللغة...^{٢٧}. فهنا تكمن اهمية القصدية التي يهتم بها من يحاول ان يتلمس طرفا من اطراف تحقق الاسلوبية في النص، فالمبدع في رحلته الطويلة مع اللغة منذ ان كان مجرد متكلم عادي وحتى اصبح مبدعا علاقته باللغة واحدة في كلتا الحالتين؛ ففي كلاهما يحاول ان يختار المفردات، واقامة العلاقات بين مركباته اللغوية، لكن القصدية عنده في الحالة الاولى لا تستلزم منه ان يختار اكثر مما يبتغي به التعبير عن حاجاته عن طريق اللغة، والصفة نفسها موجودة لدى الثاني (المبدع) ولكن بقصد التعبير وبقصد التأثير، فكلاهما يمتلكان اداة لغوية تمكنهما من التواصل اللغوي بمستوياته عن طريق المستوى الفعلي لاستخدام اللغة وهو (الكلام)، فتحدث مفارقات لغوية بين الافراد، تجعل كل فرد له طابعه الخاص، وطريقته الخاصة، في انتقاء مفرداته وتراكيبه وصوره، والموجه الاول في تحقيق ذلك التواصل هو المتكلم وما يرمي اليه من القصد من كلامه، وهذا ما رمى اليه فرديناند دي سوسير عندما فرق بين اللغة على انها: موجودة على هيئة ذخيرة من الانطباعات، مخزونة في دماغ كل فرد من افراد مجتمع معين، واما الكلام فعلى العكس من ذلك فعل فردي وهو عقلي مقصود^{٢٨}.

وبذلك تتجلى اهمية المتكلم او المبدع في طبيعة استخدامه للغة بعيدا عن وضع اللغة، ونحن حين نقرأ القزويني في هذه العبارات كأنا نقرأ ما جاءت به الدراسات اللغوية الحديثة التي كان من بين ما

اهتمت به تلك العمليات (العقلية) عند المتحدث والمتلقي، والتي ظهرت على اثرها علوم جديدة في ميدان علم اللغة كعلم اللغة النفسي، وهو تخصص جديد آخذ في الاستقلال^{٢٩}.

وعلى اساس هذه العمليات العقلية التي استند القزويني اليها في حديثه عن الاسناد، صارت دراسة مستويات اللغة ودراسة عملية الكلام بين الفرد والمجتمع من قبل اللغويين، واصبح التمييز بين مصطلحات اللغة كما فعل دي سوسير الذي ميز بين ثلاثة مصطلحات اساسية في نظرية اللغة: مصطلحات langue يعني اللغة الواحدة مثل اللغة العربية او الفرنسية...، و parole وتعني الكلام او الاستخدام الفردي للغة الواحدة عند الفرد و language القدرة اللغوية عند الانسان بصفة عامة^{٣٠}.

ومما تميز به القزويني تعريفه لفصاحة المتكلم، بعد ان جعل الفصاحة تقع صفة للفرد خاصة، وجعلها صفة للمتكلم ، فيمكن ان نقول متكلم فصيح كما يمكن ان نصفه بأنه بليغ، فعرف فصاحة المتكلم: الملكة التي يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح^{٣١}.و تكون هذه الصفة في المبدع، عند تحقق شروطها، امتدادا لمواصفات البنية الافرادية، او توسيعا لمدى تأثيرها الابداعي^{٣٢}. والقزويني حين عرف فصاحة المفردة، ثم عرف فصاحة المتكلم قام بإدخال المتكلم في دائرة الابداع التي لا يتحقق فيها نجاح الخطاب البلاغي دون تحقق صفة الفصاحة في المفردة والمتكلم. وحديث القزويني عن فصاحة المتكلم تتفق مع احدى دلالات الاسلوب في الاصطلاح، فهو حين عرف فصاحة المتكلم بالملكة التي يقتدر بها على التعبير عن المقصود، كان كلامه موافقا لمن خص الاسلوب ب(طريقة التعبير)، او نمط الكتابة، او اسلوب كاتب بعينه^{٣٣}. فالملكة في تعريف القزويني اداة يقتدر بها الكاتب على التعبير عما يجول بخاطره، ويمكن من خلالها التعرف على الاسلوب من تلك العملية التعبيرية، وما يزيد كلام القزويني، مرونة تؤهله ان يكون بذرة من بذور التراث البلاغي التي تصلح ان تثبت في تربة العلوم اللسانية الحديثة كالأسلوبية؛ قوله: (وقيل يقتدر بها، ولم يقل يعبر بها؛ ليشمل حالتي النطق وعدمه)^{٣٤}، وكأن عملية التعبير تلك والتي قد تكون دلالة من دلالات الاسلوب المتعددة، في فكره لا تقف عند حدود التعبير بالمنطوق من المفردات التي يتكون منها التركيب، بل بغير المنطوق مما يوصل المراد الى ذهن المتلقي، لاسيما وان هناك تصورات اسلوبية تنحو الى تفسير الاسلوب بان يسلم بوجود معين قبل تجسده في كلمات؛ وحينئذ يصبح الاسلوب اضافة تقوم بوظيفة لا تتصل بالجمال ، بل على وجه التحديد بالفعالية والتأثير^{٣٥}.

وهذا التفسير متأثر بتعريف (ستاندال) للأسلوب، والذي عرفه: بان(تضيف الى فكر معين جميع الملابس الكفيلة بأحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر ان يحدثه)^{٣٦}.

وفي كلام القزويني: وقيل يقتدر بها ولم يقل يعبر ليشمل حالتي النطق وعدمه. دلالة على ان هناك ملابس تحيط بالفكرة المنطوق بها بواسطة الكلام، ترافق او تسبق تلك الملكة التي يتحلى بها

المتكلم الفصيح. فالتعبير عن المقصود، بلفظ فصيح ليس بالعمل الهين وليس مجرد عملية يعبر بها عن المقصود؛ بل هو اداة تحتاج الى صفة الاقتدار في استعمال الكلمات يوصف من يمتلكها بانه مقتدر في كلامه، حين يعبر عن نفسه بلفظ فصيح.

المتلقي

وبشكل الطرف الثاني في عملية التواصل اللغوي، فالتكلم وظيفته التعبير، والمتلقي يمثل الطرف المستقبل لما يوجهه له المتكلم المبدع، ولا شك انه مقيد بحاجة المتلقي ومستواه الثقافي وظروفه النفسية والاجتماعية، ففي النموذج البلاغي للتواصل يحتل متلقي الخطاب المقام الاول بدون منازع^{٣٧}، ويزيد (المتلقي) اهمية، ان تحقق البلاغة مرهون باطار اضافي، يلزم فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بعد توفر مواصفات الفصاحة، وهنا يتم استدعاء(المتلقي) ليكون شريكا في العملية الكلامية؛ لان مطابقة (الحال) لا يمكن تحققها الا بالنظر الى (المتلقي) وحالاته الادراكية المختلفة^{٣٨}.

واكثر البلاغيين اليوم يستند الى تعريف القزويني للبلاغة على انها: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)^{٣٩}، الذي اتخذه البلاغيون الذين جاؤوا بعده مصطلحا للبلاغة، ودخل كتب التعريفات والمصطلحات، كما ورد في كتاب التعريفات القديمة، ودخل بهذه الدلالة في كتب البلاغة العربية الحديثة والمعاصرة^{٤٠} ولقد اصبح هذا التعريف دائرة نقاش عند كثير من الباحثين والمهتمين باللغة والبلاغة؛ لما لهذا التعريف من علاقة بمباحث مختلفة بالعربية، ولا يخفى علينا ان اول من قال بمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو الجاحظ ولكن القزويني جعل عماد تعريف البلاغة عنده قائما على هذه المطابقة، بينما ورد معنى المطابقة عند الجاحظ بين ثنايا كلامه الذي نقله عن صحيفة بشر بن المعتمر في البيان والتبيين ولم يصطلح عليه كتعريف للبلاغة، يقول: (ينبغي (للمتكلم) ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها وبين اقدار (المستمعين) وبين اقدار (الحالات) فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل (حالة) من ذلك (مقاما) حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم اقدار المعاني على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات)^{٤١}.

ووجدت من بين كلام الجاحظ ما هداني الى الاجابة عن عدة تساؤلات تتعلق بمصطلحات تتعلق بتعريف القزويني للبلاغة، منها مصطلح (المقام)، و(مقتضى الحال)، الذي بحثه علماء البلاغة المحدثين، هذه التساؤلات تكونت حين وجدت ان احد المحدثين وهو الدكتور تمام حسان قد وصف فهم البلاغيين لـ(المقام) او مقتضى الحال فهما سكونيا قاليا نمطيا مجردا على نحو ما جرد النحاة اصل الوضع للحرف وللکلمة وللجملة، ووصف المقامات التي يتحدث عنها القزويني في قوله: (ومقتضى الحال مختلف، فان مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التكرير يباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين خلافه، ومقام

الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي^{٤٢}، بانها: نماذج مجردة واطر عامة، واحوال ساكنة ذات مقتضيات يوزن بها السلوك الحي، ويصب في قالبها، وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني؛ لأنه حال او static اما المتحرك النابض بالحياة فهو السلوك اليومي للفرد الذي يسعى الى مطابقة هذه القوالب الثقافية^{٤٣}.

وعلى الرغم من ان تمام حسان كان قد شم رائحة المعيارية في كلام القزويني . على حد تعبيره . الا انه قرر ان يورد كلام القزويني الذي سبق ويصرفه الى المعنى الاجتماعي النابض بالحياة، فيعطيه دينامية لم ينسبها اليه البلاغيون في رأيه، ثم يقرر ان ما يقصده هو بالمقام ليس اطارا ولا قالباً، وانما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر (المتكلم) جزءاً منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم speech event ، وهو امر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الانسان والمجتمع والتاريخ والجغرافيا والغايات والمقاصد^{٤٤}.

وتمام حسان في رأيه هذا جعل قول القزويني في المقامات وان كان معيارياً بعض الشيء امتداداً للنظرية الاسلوبية التي يسير وفقها الباحثون عن اسلوبية جديدة في بلاغتنا القديمة، حتى انه وجد ان لفظ (المقام) في كلام القزويني اصلح ما يعبر به عما يفهمه هو من المصطلح الحديث: context of situation الذي يستعمله اللسانيون المحدثون^{٤٥}.

ولو عدنا لكلام بشر الذي نقله الجاحظ ولاحظنا ان هذا الرجل على قدم عصره لم يفقه ان يرى بان العملية الكلامية التي يديرها المتكلم أولاً ويتلقاها المستمع ثانياً، هي عملية يشترك بها طرفان يوسطهما حال، ومقامات، واقدار، وكأن العملية برمتها على وفق ما يصوره لنا كلام بشر بن المعتمر عبارة عن خط منحني يبدأ بسهم يتجه من المتكلم المبدع الذي وظيفته الايصال والتأثير ويمر متجهاً نحو المقامات التي تحيط بالسامع لتأخذ الشكل الذي يليق بتلك المقامات، ويناسب تلك الاحوال ليعود مرة اخرى متجهاً نحو المتكلم، والتساؤل المطروح: هل من الصحيح ان نظن حين نقرأ كلام القزويني عن تلك المقامات بانه قد فهم فكرة مقتضى الحال فهما سكونياً قالبياً نمطياً كما وصفه تمام حسان، على نحو ما جرد النحاة اصل الوضع للحرف والكلمة وللجملة؟ وان كلام القزويني فيه رائحة المعيارية؟ وقد علمنا ان من سبقه بمئات السنين مثل بشر بن المعتمر قد لمح لنظرية بلاغية اسلوبية متكاملة؟

لا اظن ان القزويني قد غفل عنها ولكن يبقى اسلوبه في الطرح الجاف من شوه نظرة الدارسين لرؤاه البلاغية، ورغبته في تعليم البلاغة وجعل كتابه الايضاح اساساً لتعليم دارسيها، ليكون قاعدة ينطلق منها جميع الدارسين. فقهاء واصوليين، وبلاغيين، وادباء، ونقاد ويبقى مناظ الامر على كل فئة بان تستشف عن طريق الاستقراء ما تستند اليه في نظرية او رأي. مستندة حتى ولو على رأي معياري كما فعل تمام حسان فيما سبق، في تفسيره للمقامات في ضوء كلام القزويني عنها، وكما فعل الدكتور احمد

مطلوب الذي اكتفى بالقول بان المقصود بـ(مقتضى الحال) ان يكون الكلام مطابقا للحالة التي يتحدث عنها ومناسبا للموقف الذي يتحدث فيه^{٤٦}، وكل ما جاء عنه في خصوص تعريف القزويني للبلاغة، هو ان القزويني قد اعترض على تعريف السكاكي للبلاغة، التي قال فيها، انها: (بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه، والمجاز، والكناية على وجهها)^{٤٧}.

وان القزويني قال عن السكاكي، انه(ان اراد بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلغاء وهو الظاهر فقد جاء الدور، وان اراد غيرها فلم يبينه، على ان قوله وغيره مبهم لم يبين مراده به)^{٤٨}. وحقيقة الواقع ان الدراسات البلاغية الحديثة لم تعد ممن بحث ونقب في النصوص القديمة المتوشحة بوشاح العلمية المفرطة الى حد الجفاف احيانا؛ بسبب تخلل المنطق والفلسفة في ثنايا بحوثها وبروح عالية عالجت العلاقة بين القديم والحديث، ومدت جسور التواصل بين بلاغتنا العربية القديمة وبين الاسلوبية الحديثة، مثل الدكتور محمد عبد المطلب في تجربته الرائعة مع كتابيه: (البلاغة العربية قراءة اخرى) و(البلاغة والاسلوبية)، والتي كان من بين ما بحث فيها معنى (مقتضى الحال)، الذي جاء عن تعريف القزويني للبلاغة، اذ يرى في ضوء ما جاء عن القزويني، ان البلاغة تحققها مرهون باطار إضافي، يلزم فيه مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بعد توفر مواصفات الفصاحة، وهنا يتم استدعاء المتلقي ليكون شريكا في العملية الكلامية، لان مطابقة الحال لا يمكن تحققها الا بالنظر الى المتلقي وحالاته الادراكية المختلفة كما انها في . الوقت نفسه . تستحضر المتكلم في حالة خاصة، هي حالة (الوعي والقصد) ، لان غيابهما يتنافى مع مراعاة الحال والمقام^{٤٩} .

ولو دققنا النظر في كلام الدكتور محمد عبد المطلب عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته في ضوء تعريف القزويني للبلاغة، والذي كان مرجعه فيه^{٥٠}، لادرکنا ان الدكتور محمد عبد المطلب حين رأى ان تلك المراعاة التي يرى بانها تستلزم اولاً (وجود المقتضى)، التي فسرها بالكيفية التي يكون عليها الكلام، وثانياً(ضبط المقتضى) الذي يتعلق بثلاثة اقسام:

الاول: يتحرك في منطقة الأفراد (اجزاء الجملة)، وما ينتاب دوالها من تحولات نوعية مثل (التكثير والتعريف).

والقسم الثاني: يتجاوز منطقة الافراد الى المركبات، وما ينتابها من تحولات داخلية او خارجية مثل (الفصل والوصل).

والثالث: الذي يتحرك بين القسمين السابقين، ويجمع بينهما كما يلاحظ في تحولات (الايجاز والاطناب)^{٥١}، انه قد رآها بعين بلاغية اسلوبية، وفي ضوء المعطيات التي وفرها له تعريف القزويني للبلاغة، حتى أن من يقرأ بحثه في تعريف البلاغة يدرك ان طريقة القزويني في ترتيب العبارة في ذلك

التعريف كانت محسوبة وعن وعي وحس بلاغي حكيم؛ فقد اخر القزويني اشتراط الفصاحة عند من يطابق الكلام لمقتضى الحال، على الرغم من ان ذكر الفصاحة يسبق ذكر البلاغة دوماً، في بحوث القدماء والمحدثين، لكنه قال بان البلاغة^{٥٢}: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع (فصاحته)، اي انه صاحب بذكر فصاحة الكلام بعد ان اشترط مطابقته لمقتضى الحال، وكان من الممكن ان يقول بان البلاغة: فصاحة الكلام مع مطابقته لمقتضى الحال، ولكن مدلول التعريف يختلف في الحالتين، ولعل السبب الرئيس لذلك الترتيب هو ان كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ^{٥٣}، وكل كلام ما لم يطابق مقتضى الحال ليس بليغاً حتى وان كان فصيحاً، وقد يكون تعريفه للبلاغة بالحاق اشتراطه للفصاحة بعد ذكر المطابقة بين الكلام ومقتضى الحال يشير الى قصده في ان شرط الفصاحة في الكلام شرط مفروغ منه ولكن مدار الامر في تحقق المطابقة اولاً بعد الفراغ من فصاحة الكلام.

ويفسر الدكتور محمد عبد المطلب (مقتضى الحال) بانه: الاعتبار المناسب للحال الذي يستدعي بالضرورة بناء لغوياً معيناً، وكل اعتبار له ناتج صياغي يتوافق معه، ويتوصل الى عدم امكانية تصور وحدة الناتج الصياغي مع اختلاف المقتضيات^{٥٤}.

فالدكتور محمد عبد المطلب، اخذ يتعاطى مع كلام القزويني وأحال على كتابه (الايضاح)، ووضح كلام القزويني بنفس بلاغي اسلوبي وفسر العلاقة بين الكلام والمطابقة بان تحول التركيب من مستواه العميق الى المستوى السطحي له مصاحبات توجه الحركة التعليقية توجيهها داخلياً، وحتى على فرض وجود التوحد في البناء السطحي برغم اختلاف المقامات، فان ذلك لا ينفي المقولة البلاغية التي جاءت في تعريف القزويني^{٥٥}، في ان البلاغة تتحقق في مطابقة الكلام لمقتضى الحال، بل إن المقامات حتى لو تعددت فانه يمكن ان يتوحد البناء الصياغي، كالتعظيم والتحقيق مقامان متغايران، ومقتضاها واحد هو (الحذف)، حيث يغيب الدال تعظيماً له، او نفوراً منه^{٥٦}.

كلامه هذا دليل على ان تأخير القزويني لاشتراط الفصاحة في تعريفه للبلاغة عن ادراك منه في ان للمطابقة، والحال، والمقتضى حيثيات مهمة يدور عليها مناط الامر في البلاغة، وللصياغة النحوية في تحقق التركيب الذي يتميز بمرونة التحول والتغيير بواسطة الحركة التعليقية التي يتحقق بها النظم وفقاً لاختلاف المقامات التي تحرك الكلام باتجاهها، لذلك نرى بان الدكتور محمد عبد المطلب قد تحققت له تلك القراءة الأخرى للبلاغة العربية، وهذا موقف يحسب له في تاريخ البلاغة الحديثة.

فمطابقة الكلام لمقتضى الحال عملية كلامية يقوم بها المتكلم وفق حالة المتلقي والسماع وبذلك تكون عملية المطابقة شراكة بين طرف المتكلم وطرف المتلقي او السماع، وبهذا يمكن ان نفسر (الحال) بانه حال المتكلم، وحال السماع؛ لان المتكلم وظيفته مطابقة كلامه لما تقتضيه حاجته من التعبير عن

حاله، ومطابقة ذلك الكلام لحال السامع ايضا، ليتحقق النفع من العملية الكلامية في التعبير عن الحاجة بأسلوب مؤثر واستقبالها بهيئة ملائمة لحال المتلقي.

ومن ملاحح القزويني الاسلوبية في تمكن البلاغة من هذه العملية الكلامية التي تدور بين المبدع والمتلقي، وفي باب بحثه في خروج المسند اليه على خلاف الظاهر؛ لاقتضاء الحال اياه^{٥٧}. قوله: (فيوضع المضممر موضع المظهر...؛ ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، فان السامع متى ما لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام: كيف تكون، فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن، وهو السر في التزام تقديم ضمير الشأن او القصة، قال الله تعالى: ((قل هو الله احد))^{٥٨}، وقال: ((انه لا يفلح الكافرون))^{٥٩}، وقال ((فإنها لا تعمى الابصار))^{٦٠} ^{٦١}. فالباحث الاسلوبي يرى ان ما يشرحه القزويني بقوله هذا، يعني ان الضمير حين يطرق النفس من غير ان يكون له عائد يعود عليه بصيرها الى حالة من الغموض والايهام... فتستشرف الى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير، فاذا جاءت الجملة المفسرة تمكن معناه ووقع في القلب موقع القبول^{٦٢}. والمبدع عندما ينشئ نصا ادبيا يميز بين عدد من الاختيارات التي تنشأ بينها علاقات معينة، كالإسناد والتبعية والاضافة، وغيرها والتي يكون في اختياره لها، فاعلية اسلوبية في بنية التركيب نفسه^{٦٣}. وطبيعة الاختيار في كل الاحوال تكون مرهونة بالمعنى والموقف والسياق.

المبحث الثاني

النص

يعد النص، المجال الحقيقي الذي تنعكس فيه الملاحح الاسلوبية القارة فيه، سواء أُدرِس وفق الملاحظات المحيطة به، او بمعزل عنها، ففي الحالتين يمكن ان ينتج لنا صورة، يمكن ان تكون موضوعا للتحليل النقدي او الادبي او العلمي وحتى النفسي.

وقد تناولت عقول المحدثين هذا المصطلح، فمنهم من استعمله بمعنى واسع جدا، فاطلقه على أي ملفوظ، قديما او حديثا، مكتوبا او محكيا، طويلا او قصيرا. ومنهم من عد مفهوم النص لا يقف على نفس المستوى الذي يقف عليه مفهوم الجملة، او القضية، او التركيب، وكذلك هو متميز عن الفقرة التي هي وحدة منظمة من عدة جمل، وان النص يمكن ان يكون جملة، كما يمكن ان يكون كتابا بكامله، وان تعريف النص يقوم على اساس استقلاليته وانغلاقيته، وهما الخاصيتان اللتان تميزانه، فهو يؤلف نظاما خاصا به، لا يجوز تسويته مع النظام الذي يتم به تركيب الجمل. واخر يعرفه بانه نسيج كلمات منسقة، وهناك من يقول بان النص هو نشاط توالدي يبتعث المعاني بحيث تكون مقوماته اللغوية محل قياس، بعد ان كان يظن انها مقياسة على النظام اللغوي الايصالي^{٦٤}.

ومن وجهة نظر أصحاب المدرسة الشكلية الروسية، لا فضل للمبدع في تكوين اسلوب النص، وانما النص هو الذي يخلق اسلوبه، وتحديد النص انطلاقا من بنية النص ونظامه الداخلي يتجلى في شبكة تقاطع الدوال والمدلولات، ومجموعة علائق بعضها ببعض ومن ذلك تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاتها اسلوبه^{٦٥}. ويعد (جاكبسون) من اهم من حدد الاسلوب من زاوية النص^{٦٦}، حينما عرف النص الادبي بانه:(خطاب تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام وهو ما يفضي حتما الى تحديد ماهية الاسلوب، بكونه" الوظيفة المركزية المنظمة" لذلك، كان النص، حسب جاكبسون خطابا تركب في ذاته ولذاته^{٦٧}، لكن البحث الاسلوبي يبقى يستمد مقولاته من العلاقة بين اللغة والادب من جانب، واللغة والحياة من جانب آخر^{٦٨}، حتى ان تشومسكي مثالا يعد المظهر الابداعي للغة، هو ما اصبح اليوم يمثل النقطة المركزية التي تدور حولها الدراسات اللغوية الحالية، على مستوى الاستعمال الجاري العادي... فكل الظواهر. في رأيه . لتوحي بان الذات المتكلمة تختار لغتها. بوجه ما من الوجوه . كلما عمدت الى التعبير عن نفسها، او هي تعاود اكتشاف تلك اللغة كلما سمعت الآخرين . من حولها . يتكلمون بها^{٦٩}.

بينما يشير الدكتور محمد عبد المطلب الى ان التناول الاسلوبي انما ينصب على اللغة، الادبية؛ لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الاداء، بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحراف عن المستوى العادي المؤلف، بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الافراد بشكل دائم وغير متميز^{٧٠}، غير انه نبه ان هذا لا يعني ان نقيم حاجزا صلبا بين اللغة الادبية ولغة التخاطب؛ لان الاولى تستمد وجودها . بلا شك . من الثانية، فتقيم منها ابنية وتراكيب جديدة في الصوت والكلمة والجملة، ثم القطعة بأكملها، فلغة الادب هي التي تحدد الامكانات التعبيرية الجمالية التي توجد بشكل اعتباطي في لغة الخطاب، فتفيد منها في ابداعات جديدة لا تنتهي^{٧١}، مما يعني ان الاهداف العامة للبحث الاسلوبي تقوم على اساس نظرية علم اللغة التطبيقي، مما يدعو الى الاهتمام بالوسائل المنهجية المشتركة بينهما^{٧٢}، وحينئذ تبقى العلاقة قائمة بين البحث الاسلوبي واللغة حتى وان كان علم اللغة يدرس ما يقال من خلال لغة النص، والاسلوبية تدرس كيفية ما يقال، من خلال النص الادبي مستقلا، او من خلال انتاج مؤلف بأكمله، او بإجراء مقارنات اسلوبية متعددة، او يدرس تغير الاسلوب من حالة الى اخرى وتطوره من الوجهة الزمنية^{٧٣}.

و في النتيجة اصبح للنص خصوصية في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة، بعد ان كان النص مرتبطا بمبدعه، وتتكشف من خلاله طبيعة الرؤية التي يحملها المبدع، وينظر بها الى الاشياء من حوله، وانعكاس هذه الرؤية على البعد النفسي والفكري في ذلك النص، واصبحت دراسة اسلوب المبدع تعتمد على وجود ظاهرة داخلية في النص، تتجلى في مجموعة من العلاقات المتداخلة بين عناصره اللغوية^{٧٤}، وتراجعت . عند اصحاب هذا الاتجاه^{٧٥} .

وفي ضوء هذه التصورات وما اثير حولها من اراء، سنحاول الكشف عن أي ملمح فيه اشارة لجذور التفكير الاسلوبي عند القزويني.

وأول ما لمحتة، ان القزويني ليس ذلك البلاغي المتشدد في تقييد النصوص وتحديدها؛ فبين الفينة والاخرى، نرى لديه نظرة تعتمد النسبية في شروطه التي حدد فيها بعض المباحث البلاغية، مثل فصاحة المفرد التي اشترط فيها خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي^{٧٦}، فيقول في التنافر: منه ما تكون الكلمة بسببه (متناهية) في الثقل على اللسان وعسر النطق بها، وذكر مثالا عليه ما دار حول الاعرابي الذي سأل عن ناقتة، فقال بانه، تركها ترعى (الهعخع)^{٧٧}، واضاف بان هناك ما دون ذلك كلفظ (مستشزرات) في قول إمري القيس:

غدايره مستشزرات الى العلا تظل العقاص في مثنى ومرسل

ولو لم يكن للقزويني نظرة اسلوبية، لما ترك مجالا للتفاوت في نسبة التنافر، والتزمت في رأيه، لمجرد وجود القليل من العسر في نطق الكلمة، ولقد سبق لي في الفصل الاول ان تطرقت الى رأي الباحثين والنقاد المحدثين، في قول إمري القيس هذا، وكيف انه لا يعد من المتنافر، بل مما ينطبق لفظه على المعنى الداخلي للكلمة، وكلمة (مستشزرات) خارجة عن قياس فصاحة المفردة عموماً؛ لما في حروفها من التنافر وعسر النطق، ولكنني لاحظت من خلال كلام القزويني انه ادخلها في دائرة المقبول، ولم يلحقها بدائرة المتناهي في الثقل على اللسان، وكأن القزويني، حين اورد مثالا من النثر في قول الاعرابي: (تركتها ترعى الهعخع)، للتمثيل على وجود (التنافر) في المفردة، ومثالا من الشعر، وشعر إمري القيس دون غيره؛ اراد التفريق بين مستوى التفاوت في التنافر في النثر والشعر، ومن المعروف ان ما يميز الشعر من النثر، ان الشعر يتحمل الغرابة في القول، والخروج عن المألوف؛ لان موضوعاته، وايضا اشخاصه، هي عادة خارجة عن المألوف^{٧٨}، مما خول القزويني ان يجعل كلمة (مستشزرات) دون المتناهية في الثقل على اللسان، ويأتي دورنا في تفسير هذا الملمح الاسلوبي للقزويني حتى وان كان قديماً او عن غير وعي منه بما سيؤول اليه التفكير البلاغي والنقدي، في قابل عصره، اذ يمكننا معالجته بأدوات حديثة، مبعثها ايجاد حلقة وصل بين القديم والجديد، ولعل في كلمات امريء القيس، في معلقته تلك مثال على ما عرف به الاسلوب من وجهة نظر السنية، ومن زوايا نظر مختلفة؛ فمن جهة المتكلم او الباث. للخطاب اللغوي، (الاسلوب) هو الكاشف عن فكر صاحبه، ومن جهة (المخاطب)، او المتلقي للخطاب اللغوي (الاسلوب)، ضغط مسلط على المخاطبين، وان التأثير الناجم عنه يعبر الى الاقناع او الامتاع، وعلى حد قول (ستاندال) الاسلوب هو ان تضيف الى فكر معين جميع الملابس الكفيلة بإحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر ان يحدثه، اما من جهة (الخطاب) نفسه، او لنقل (النص)، فالأسلوب هو الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختيارات اللغوية^{٧٩}، ولو كان القزويني قد عد كلمة (

مستشزرات) من المتنافر والمتناهي في الثقل مطلقا، لما استطعت ان آخذ واعطي معه في النقاش، حول أي ملمح اسلوبي عنده في هذا الموضع.

وللقزويني رأي في كون فصاحة الكلام، خلوصه من ضعف التأليف، والتنافر، والتعقيد^{٨٠}، لكنه يعترض على ما قيل عن فصاحة الكلام بانها: خلوصه مما ذكر ومن (كثرة التكرار)، و(تتابع الاضافات)^{٨١}، ويعلل اعتراضه هذا؛ بان (كثرة التكرار) او (تتابع الاضافات)، ان افصى باللفظ الى النقل على اللسان، فقد حصل الاحتراز عنه بعدم وجود تنافر في حروف الكلمات المتكررة والمضافة، وعند عدم توفر هذا الاحتراز، يمكن ان تختل صفة الفصاحة^{٨٢} في الكلام، واستشهد بحديث للرسول (صلى الله عليه وعلى اله وسلم): (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم. يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)^{٨٣}، ويفضل تقصي البلاغيين للخواص الجزئية في الجملة، و التي يمكن ان تتصف بهيمنتها على بعض انواع التعبير، امكن التعرف على بعض المناحي الاسلوبية، مثل (التكرار) . الذي عده القزويني غير مغل بفصاحة الكلام على العكس من غيره. ويأخذ هذا التكرار نمطا تكراريا عند البلاغيين، ويبدا احساسهم بأهمية هذه التراكيب، لسببين:

الاول/ لأن لها صلة بالناحية الدلالية مما دفع بعض الدارسين من علماء البيان الى ادخالها في مباحث المعاني، مثل مبحث التوكيد والاستدراجات والارصاد.

والثاني/ على اساس أن الكلام الانساني يحوي فائضا يمكن حذفه او الاستغناء عنه، دون ان يعطل ذلك مقدرة المتلقي على الفهم والتأثر^{٨٤}.

اهتم القزويني بمباحث الاسناد الخبري، وكان مما فصل فيه القول القدر الذي يراعيه المخبر في افادة (المخاطب)، وانه ينبغي عليه ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة^{٨٥}، فلو كان المخاطب خالي الذهن من الحكم (الاعتقاد)، ولم يكن في ذلك الذهن تردد في استقبال الخبر، لم يكن المتكلم عندئذ في حاجة لتأكيد الحكم، او الخبر^{٨٦}، وبين ان الغرض من كل هذا هو (التمكن) من ذهن (المخاطب)^{٨٧}، ومن يدقق في كلام القزويني، يشم رائحة نفس حدائية، تتلبس بعقب مسك القديم؛ فعبارته (التمكن من ذهن المخاطب) لا تدل على مجرد التعبير عن حاجة، بوساطة اللغة، بل التعبير والتأثير، يتخلل هذه العملية، ما اسماء باحثوا العلاقة بين البلاغة والاسلوبية ب(البعد التداولي للبلاغة)؛ اذ يرى هؤلاء ان توجه البلاغة نحو الاثر (التداولي) يظهر في تمييزها، منذ القدم بين ثلاثة انماط اساسية من المقصدية، واحد منها فكري، واثنان عاطفيان، احدهما معتدل والثاني (انفعالي او تهيجي)، وهذه الانماط:

أولاً: (المقصدية الفكرية)، بمكونها التعليمي، والحجاجي والاخلاقي.

وثانياً: (المقصدية العاطفية المعتدلة).

وثالثا: (مقصدية التهيج)^{٨٨}. اما ان كان المخاطب متصورا لطرفي الاعتقاد وهما (المسند والمسند اليه)، وكان عنصر (التردد) في اسناد احدهما الى الاخر موجود؛ حسن حينئذ تقوية الكلام بمؤكد^{٨٩}، واما ان كان (المخاطب) حاكما بخلاف الحكم او الاعتقاد؛ فيجب توكيده، ولكن بحسب درجة الانكار^{٩٠}. وذكر قوله تعالى: (ضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون، فأرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون، قالوا ما انتم الا بشر مثلنا ما انزل الرحمن من شيء، ان انتم الا تكذبون، قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون))^{٩١}، كمثال على وجود هذه المستويات من حاجة المتلقي او المخاطب، فالجملة الخبرية تتخذ (اسلوبا) جماليا شفيفا وجديدا ومتنوعا بوساطة المؤكدات او الشرح والتفصيل.. وهو (اسلوب) يعتمد على المخزون الشعوري الفياض والمتوتر، فاضرب الخبر تكون باعتبار طريقة القائها للمخاطب، تبعا لأحواله في قبول الخبر او انكاره.. ولهذا يحتاج المتكلم الى توكيد خبره بمؤكد او اكثر بحسب الحاجة في الخطاب^{٩٢}، وما يهمني من هذا ان القزويني في بداية كلامه في احوال الاسناد الخبري، قد فرق بين مصطلحي (فائدة الخبر) و(لازم الفائدة) وحين قرأتها حاولت تجنب الخوض فيها لطني انها من النقاشات المنطقية التي لا طائل في ذكرها في بحثي، لكنني وجدت بعد حين من مطالعتها، ان الباحثين قد تنبهوا الى ان البلاغيين نظروا الى اغراض الخبر باعتبار المتكلم، ووفق مقتضى الظاهر، وانهم وجدوا للخبر غرضين اصليين. فهناك جملة القاها المتكلم بغرض افادة المخاطب، اطلق عليها (فائدة الخبر)، وهناك جملة القيت بغرض الامتاع، وتحقيق الخبر وتوكيده عند السامع اصطلح عليها (لازم الخبر)، وبذلك يمكن (للخبر) بوساطة اغراضه ان يمنحنا اتجاهين اسلوبيين:

الاول/ في حالة (فائدة الخبر) التي يكون غرض المتكلم فيها افادة المخاطب مجردا عن اي غرض آخر، كقول الفرزدق حين طلق زوجته (النوار) ومن ثم ندم على فعلته؛ مثله مثل ادم الذي اخرجه فعله من الجنة؛ فهو يخبرنا بذلك ولم نعلم به من قبل:

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين لج به الضرار^{٩٣}

الثاني / في حالة (لازم الفائدة) التي يكون فيها المتكلم راغبا في اخبار المخاطب انه يعلم الخبر الذي يعرفه، كما في بيت المتنبي يمدح فيه سيف الدولة وبطولته:

تدوس بك الخيل الوكوز على الذرا وقد كثرت حول الوكور المطاعم^{٩٤}.

فسيف الدولة يعلم بذلك كله، كما هو في بعض كتب البلاغة، ولا تزيد عليه شيئا يذكر^{٩٥}.

اشتهر عن القزويني تعريف بلاغة الكلام، بانها: (مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)^{٩٦}، وان مقتضى الحال مختلف، فمقامات الكلام متفاوتة، فمقام التذكير يباين مقام التعريف، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين التأخير، ... الى ان قال بان خطاب الذكي يباين خطاب الغبي^{٩٧}، اشار الى ان ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته

له^{٩٨}. وقد استعان احد الباحثين بكلامه هذا في توضيح فكرة لها علاقة بالأسلوبية، وهي ان (المستوى الاسلوبي) لبنية التركيب النحوي يمكن أن يتحقق بأربعة جوانب هي:

- ١- المبدع (المتكلم).
- ٢- السامع (المتلقي).
- ٣- الكلمات (بنية التركيب).
- ٤- شيء متحدث عنه (الموضوع)^{٩٩}.

وعلى وفق هذا المنظور يخلص هذا الباحث الى أن التطابق بين التركيب والموقف من خلال توافق (الاسلوب والسياق والمقام) في بنية التركيب النحوي يتخذ قيما اسلوبية يهتم بموجبها الدارس بعناصر التركيب كلها (اللغوية وغير اللغوية) لكي يتسنى له ادراك المستوى الابداعي للغة فإن اختلف هذا التوافق اختلفت الصياغة واضطربت الفاعلية الاسلوبية المتوخاة من ذلك التركيب مستندا الى كلام القزويني في ان ارتفاع شان الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب (الموقف) على وفق السياق المناسب، ينتج عنه (أسلوب مناسب)^{١٠٠}.

والطريف في هذا الامر ان القزويني بعد ما قاله في اعلاه مباشرة وفي الصفحة التي تلتها حرص على الافصاح بانه يعني بكلامه على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ما يسميه الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالنظم، إذ يقول: النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام^{١٠١}، وفي المقابل وجدت ان الدكتور مصطفى الصاوي الجويني يعد (النظم) هو (الاسلوب) من حيث مصدره، وان اوضح اطارا تبلورت فيه الفكرة التي سادت اولاً، تقوم على التفريق بين الالفاظ من حيث هي اوضاع لغة وما تعلق بها مفردات ونظم الالفاظ من حيث هو جامع لصور التصرف في استخدامها، وان اوضح اطار تبلورت فيه هذه الفكرة هو (دلائل الاعجاز) لعبد القاهر الجرجاني^{١٠٢}، فموضع الطرافة يكمن في ان القزويني يتوافق في رأيه تمام الموافقة مع باحث تلاه بعد الاف السنين، و خاض تجربة البحث في العلاقة بين علم المعاني والاسلوب وبين فكرة القزويني في ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته بمقتضى الحال الذي عبر عنه بالاعتبار المناسب. والذي فسر بانه يتخذ قيما اسلوبية يهتم بموجبها الدارس بعناصر التركيب اللغوية وغير اللغوية كما سبق. في ان الاسلوب من حيث مصدره هو النظم الذي عرف عن الجرجاني، ولمن يدقق في هذا الترابط يحسب هذا في صالح القزويني في الدراسات البلاغية الحديثة.

يقسم القزويني الخبر على ثلاثة اضرب: ابتدائي، وطلبي، وانكاري، ويستخدم في حديثه عنها مصطلح (الاجراج)، فيقول: واجراج الكلام على هذه الوجوه اجراجا على مقتضى الظاهر^{١٠٣}. ويعتبر اجراج الكلام على هذه الوجوه التي يقصد بها: الخلو عن التأكيد في الاول، والتقوية بمؤكد استحسانا في

الثاني، ووجوب التأكيد بحسب الانكار في الثالث^{١٠٤}، على مقتضى الظاهر، ثم يتبع كلامه بانه كثيرا ما يخرج على خلافه، فينزل غير السائل منزلة السائل، اذ قدم اليه ما يلوح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب^{١٠٥}.

وفي كلام القزويني هذا اكثر من موضع يمكن ان نلمح فيه نفسا يصلح ان يتناغم مع اسلوبية بلاغتنا العربية، منها: استخدامه مصطلح (الخراج)، وهي لفظة يمكن ان نعدها حداثوية وينطوي عليها دلالة اسلوبية، وقد ضارح القزويني في كلامه هذا كلاما لهنريش بليث حين يجعل الاخير لـ(النص) مراحل بناء، و يرى بان البلاغة تقترح نمودجا من خمس خطوات يصف مختلف مراحل بناء النص في تتابعها الزمني وهي:

١/ الایجاد: تحضير ما يقال.

٢/ الترتيب/ تنظيم المادة المحصل عليها.

٣/ العبارة/ اضافة المحسنات البلاغية.

٤/ الذاكرة/ الرجوع الى الذاكرة.

٥/ الالتقاء/ تشخيص الخطاب شأن الممثل: الحركات، والانشاد^{١٠٦}.

وكل هذه الخطوات تعبر في الحقيقة عن عملية تشبه اخراج عمل ما، بوساطة(شخص يمكن ان يكون مسؤولا عن عملية انتاج نص معين، سواء اكان لقصد التعبير العادي او الابداعي؛ فكلا الحالتين يتطلب وجود هذه الخطوات المقترحة، لإنتاج ذلك النص . بدليل ان هنري بليث هذا يرى بان هذا النموذج يأخذ شكل عملية سلسلة الحلقات، وهو لا يمثل النص كوحدة ساكنة مغلقة بل يتبع عملية تكون سائرا من تولد الفكرة الى تحققها التام ، وأشار الى ان المراحل الثلاثة الاولى من (المراحل الخمسة المذكورة) اهمية خاصة لأنها تطبق على كل نص، والمرحلتان الاخيرتان لا تهتمان إلا النص الذي انتج شفويا^{١٠٧}. مما يعني ان المتكلم حين يريد ان ينتج كلاما سواء اكان عاديا او ادبيا، في كلا الحالتين هو امام وضع(حال ومتكلم) يجعله بحاجة الى ان يستعين بتلك المراحل: (ايجاد الفكرة والمعرفة التامة بما يريد قوله، ثم ترتيب الفكرة وتنظيمها بحسب السياقات التي تحيط بها بما فيها مقتضى الظاهر التي يجري اختيار طبيعة الاخبار بموجبها، ويمكن ان يخرج الكلام هنا على خلاف وجوه الاخبار التي مرت بنا؛ تلونا مع حال الشخص الذي يلقي اليه الكلام او الخطاب بصورة اوسع، وقد يستدعي الامر الى اضافة محسنات بلاغية اخرى، وكل ذلك عبارة عن لعبة يتقاذفها ويتشارك بها كل من الذهن والذاكرة مع اللسان.

ولم يفت القزويني ان يبين لنا ان عملية(الخراج) هذه، وفق الوجوه الثلاثة: (الخبر الابتدائي، والطلبي، والانكاري)، يكون على مقتضى الظاهر، أي مقتضى ظاهر الحال الذي وصف بانه اخص مطلقا من مقتضى الحال^{١٠٨}، و يبدو ان للخبر على (مقتضى الظاهر) غرضين هما: فائدة الخبر، ولازم

الفائدة اللذان اشرفنا اليهما سابقا، وتكون باعتبار المتكلم فقط، اما الاغراض التي تخرج بخلاف مقتضى الظاهر فترتبط بالمتكلم والمخاطب معا^{١٠٩}. وهي عند القزويني ثلاثة اغراض^{١١٠}:

١/ ما ينزل غير السائل منزلة السائل، اذ قدم اليه ما يلوح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى: (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون)^{١١١}، والقزويني لم يفصل القول فيها شاهدا، وقام بذلك احد المحدثين ووضح ان المخاطب المتردد يمكن ان يلقي اليه الكلام بمؤكد واحد، او بالشرح له، ومثله الشاك كقوله تعالى يخاطب فيه نوحا (عليه السلام) لأن نوحا خالي الذهن من الحكم فيها، وكان يدور في خلده موقف نفسي اخر في الذين خاطب بهم ربه؛ في ان يغفر لهم وابنه منهم.. لهذا اخرجت الجملة (انهم..) بخلاف مقتضى الظاهر، وتقدم له الخبر لينتهي التردد الذي حصل في نفسه حول مصير القوم... واستعمل فيها مؤكدا واحدا^{١١٢}، ومثل القزويني على هذا الضرب بقوله تعالى: (وما ابريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء)^{١١٣}.

وكذلك لم يفصل لنا القزويني القول فيها، فيوسف يتساءل في نفسه على لسان أحد ما: لماذا تبرئ نفسك؟ وهو مقام استكاري، فاستخدم (إن واللام)؛ ويوضح هذا تمام الآية "إلا ما رحم ربي" وسياقها في النص، وقيه ورد توكيدان لصدق يوسف، ولزالة الإنكار الذي يعتقد به فيه، حين قالت امرأة العزيز: ((وانه لمن الصادقين)) يوسف: ٥١، وحين قال يوسف: ((ذلك ليعلم أنني لم أكن بالغيب))، ((وأن الله لا يهدي كيد الخائنين))، و((ما أبرئ نفسي))، يوسف: ٥١، ٥٢، ٥٣.

من هنا ثار السؤال حين تصور الآيات إنساناً ما يقول ليوسف: لماذا تبرئ نفسك...؟ لذلك عومل هذا الإنسان معاملة المنكر الجاحد إنكاراً قطعياً، لا متردداً؛ فألقي إليه الخبر على أنه خالي الذهن؛ أي: لما أحاطه بالإنكار الشديد المبرم استدعى الحكم في الجملة عدداً من المؤكدات مراعاة لمقتضى الحال... ومنها تتولد دلالات تخفي جملة من المكونات النفسية والمعنوية البعيدة عند المتلقي قبل المتكلم؛ مما يضيف عليها طابعاً جمالياً ساحراً. اذ هو اسلوب جار على بلاغة كلام العرب يجعل فيه المتكلم مجال الايحاء متجاوزا الانطباعات المباشرة، ولعل هذا ما دعى القزويني الى القول بان سلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض^{١١٤}.

٢/ انزال غير المنكر منزلة المنكر، اذا ظهر عليه شيء من امارات الانكار، ويرى احد الباحثين الذين اهتموا بالخبر واساليبه، بان المؤكدات التي يؤتى بها تبعا لحالة التصور الانكاري ليست ضربا من الزخرف الخارجي وانما هي تشكيل لغوي وظيفي بأسلوب جمالي بديع ندر وقوعه في غير لغتنا^{١١٥}

٣/ ان ينزل المنكر منزلة غير المنكر اذا كان معه ما ان تأمله ارتدع عن الانكار، كقوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)^{١١٦}، وقوله تعالى: (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)^{١١٧}.

وكل ما سبق مما جاء عن القزويني، مما يخص (النص)، ومما له علاقة بالمتكلم والمخاطب، فالقزويني ذكر لنا بان اخراج الكلام على الوجه الخبري الابتدائي ، او الطلبي، او الانكاري يكون على مقتضى الظاهر، لكن الالهم من ذلك من ناحية الزاوية التي انظر فيها الى هذا الامر هو قول القزويني انه كثيرا ما يخرج على خلاف ذلك، وظاهرة (الخلاف)، او ما يسمى بـ (الانحرافات) التي في النسيج الكتابي الادبي للنص هي التي تعكس (المؤشرات الدالة)، وحزمتها الاسلوبية، وهناك تتكشف مجالات كل من البلاغة، والاسلوبية، واثار كل منهما في الكتابة الادبية للنص^{١١٨}.

وقد يتساءل البعض كيف يمكن ان نعد هذا الخروج انزياحا وليس فيه خروجا عن اللغة القياسية او المعيارية حتى يصح ان نعبر عنه بانه كذلك، وما هو الا خروج على خلاف مقتضى ظاهر حال المخاطب؟ ، والجواب على هذا ان اساليب الكلام وصور العدول عن الظاهر الى ما هو خلاف مقتضى الظاهر، وتحول الدلالات في التركيب والمفردة في داخل النص، تبرز وتظهر حين تقوم عملية البحث عن معنى اصلي وراء الصيغة الكلامية، وهذا من مقتضيات اساليب المنهج التحليلي بكل صورته، والذي يعد في الحقيقة دراسة اسلوبية تبين طرائق المتكلم في كلامه مستعملا اللغة وقواعدها، وسبل صانع اللغة فيما يصنعه من نصوص اعتمادا على اساليب اللغة وطرائقها^{١١٩}.

كما ان الاسلوبية التي شكلت اكبر الدراسات البلاغية المعاصرة واهمها؛ نظرا لكونها اصبحت مدار نقاش وجدل في مدى علاقتها بالبلاغة القديمة، وهل انها الوريثة الشرعية للبلاغة القديمة، او هي علم حديث مستقل ليس له ارتباط بالبلاغة الام، اتخذت لها اتجاهات متعددة ومتشعبة، ولم يستقر لها تعريف الى يومنا هذا بسبب تعدد زوايا نظر تلك الاتجاهات اليها، ويمكنني ان استعين بأحد الباحثين الذين درسوا العلاقة بين النص والاسلوبية، وهو الدكتور عدنان بن ذريل والذي يطرح تعريفا لـ (بارت) عن النص، على انه: نسيج كلمات منسقة في تأليف معين. وان مهمة (النص) هي ضمانته للشيء المكتوب، وصيانة له، وذلك بإكسابه صفة (الاستمرارية) استنادا الى التسجيل الرامي الى تصحيح ضعف الذاكرة، او استنادا الى شرعية الحرف الذي هو اثر يتعذر الاعتراض عليه، الامر الذي يربطه بعالم من (الانظمة) كالقانون، والدين، والادب، والعلوم عامة^{١٢٠}. فالخروج اذن في عملية الاخبار وفق مقتضى الظاهر التي تناولها القزويني، بالاستعانة بحالة المخاطب تبعا لأحواله في قبول الخبر او انكاره، و التي تركز عليها اهتمامه في ذلك الخروج، قد تكون دليلا على قضية، قانونية، او دينية، او ادبية، او حتى علمية. او قد تكون شاهدا نصيا على حادثة ما بملاحظاتنا وهذا ما نجده في النص القرآني، في الآية التي استشهد بها القزويني على احد اساليب الخروج على مقتضى ظاهر المخاطب، وهي انزال غير السائل منزلة السائل وهي قوله تعالى وجل شأنه: ((وما ابرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي))^{١٢١} في الاخبار عن قضية يمكن ان تحمل ابعادا نفسية، او عقائدية، او علمية سيكولوجية، وكما هو معلوم

ان سورة يوسف اثارث تحليلات كثيرة لها ، ادت الى اختلافات في تفسيرها ، فاختلف حول من صدر عنه قول: (وما ابريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي)، هل هو يوسف، ام امرأة العزيز؟ و(نص) الآية . بحسب تعريف بارت . هو عبارة عن نسيج منسق في تأليف معين يحمل كل الدلالات المحيطة بذلك الموقف التاريخي، وهو دليلنا على عدة قضايا مهمة تتعلق بقصة يوسف (عليه السلام)، فقد ورد عن الشيخ الطوسي في آية: (وما ابريء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي))، ان هذا اخبار عما قال يوسف على وجه التواضع لله لست أبرئ نفسي من السوء، والتبرئة إزالة الشيء عما كان لازما له، لان النفس امارة بالسوء اي تنازع إلى السوء، فلست أبرئ نفسي من ذلك، وان كنت لا أطاوعها فيما نازعت إليه، والامارة الكثيرة الامر بالشيء، والنفس بهذه المنزلة لكثرة ما تشتهيه وتنزع إليه مما يقع الفعل لأجله، وهذا مجاز في الأصل غير أنه كثر استعماله في العرف، فيقال نفسي تأمرني بكذا وتدعوني إلى كذا من جهة شهوتي له، والا فلا يصح ان تأمر الانسان نفسه، لأنه يقتضي الرتبة ، لأنه قول القائل لمن دونه (افعل) وذلك لا يصح بين الانسان وبين نفسه ، وأكثر المفسرين على أن هذا من قول يوسف ، بينما يرى البعض ان هذا من كلام المرأة، اي زوجة العزيز، وهو ما نقله الشيخ عن أبي علي الجبائي^{١٢٢}.

وهذا ما لفت الى وقوع الاختلاف في تأويله، وان النص والسياق المحيط به، هو الفصل الوحيد لتفسير الآية الكريمة، بدليل ان الشيخ الطوسي، يفسر قوله تعالى: (وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) سياقة تدل على أن ما مضى حكاية عن قول المرأة، لان يوسف لم يكن حاضرا ذلك المجلس، وان الملك حين سمع جميع ذلك قال ائتوني بيوسف استخلصه لنفسي ، وطلب هذا الملك أن يكون يوسف له وحده دون شريك فيه^{١٢٣}.

نستخلص من ذلك ان اهتمام القدماء ومنهم القزويني بمقتضى الظاهر ومقتضى الحال، واخراج الكلام وفق مقتضاهما او اخراجه خلافا لمقتضاهما، مما يستدعي الاتيان بمؤكدات متعددة في الجملة، من المباحث التي تستعملها الاسلوبية الحديثة في تحليل النصوص، اذ يعد البعض ممن كتب في الاسلوبية ان هناك قسما من العمليات اللسانية يخرق المعيار، وقسما يقويه، وكلاهما يعد من الاسلوبية^{١٢٤} وهنا وفقني الله عز وعلا شأنه الى ادراك نقطة عدت من جوانب الافتراق بين البلاغة والاسلوبية^{١٢٥}، لكنها في الحقيقة نقطة من نقاط التلاقي والتقاطع بينهما؛ اذ لولا البلاغة القديمة التي غايتها انتاج النصوص حسب قواعد فن معين، لما استطاعت الاسلوبية ان تؤدي وظيفتها العلمية الحديثة، وهو تحليل تلك النصوص.

اهتم القزويني بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي، كما اهتم ببحث الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوي، في علمي البيان والمعاني، وفصل القول فيهما، متوخيا اقوال الشيخ الجرجاني والسكاكي فيهما، ليس

باتباعهما فيما قالوه فيها بل بمناقشة بعضه ورده بعد النظر فيه احيانا، لأسباب ناتجة عن وجهة نظر بلاغية خاصة به لهذه المصطلحات والمباحث، محاولا ربط بحثه فيها بالوضع اللغوي، الذي يشكل بنية النص الحقيقية^{١٢٦}.

قام القزويني بتقسيم الاسناد الى: حقيقة عقلية، ومجاز عقلي، وعرف الحقيقة بانها: (اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر)^{١٢٧}. والمجاز على انه: اسناد الفعل او معناه الى ملبس له غير ما هو بتأول^{١٢٨}.. جعل القزويني (ما عند المتكلم في الظاهر) اساسا لتقسيمه ما يطابق اعتقاد المتكلم للواقع، ومما لا يطابق اعتقاد المتكلم للواقع الى اربعة اضرب^{١٢٩}، وعلاقته بالحقيقة ان (اسناد الفعل او معناه الى ما هو له) يتخذ جانب المتكلم في الظاهر، اساسا لتحقيق الحقيقة او المجاز. ومن الجدير بالذكر ان القزويني اختلف مع عبد القاهر الجرجاني والسكاكي، في ان الاسناد اليه في المبتدأ واسطة بين الحقيقة والمجاز، اما عند عبد القاهر والسكاكي فالمبتدأ كالفاعل والمفعول، فيما اسند اليه، فالاسناد في (زيد قائم) ليس حقيقة ولا مجاز عند القزويني، وكذلك فيما كان الخبر فيه جامدا مثل: (هذا معدن) واما اسناد (قائم) الى ضمير زيد فهو حقيقة. وايضا عد القزويني الاسناد في (نهاره صائم) مجازا؛ لكونه لغير من هو له، والصوم ليس ثابتا للنهار بل للشخص^{١٣٠}. وانا ارجح رأي القزويني على رأي الجرجاني والسكاكي في هذا. فالقزويني وان لم يختلف تعريفه للحقيقة كثيرا عن تعريف الشيخ عبد القاهر الجرجاني. إلا ان منهجية القزويني في دراسة الحقيقة والمجاز كانت تتخذ اتجاها اكثر اقترابا من الاسلوبية الحديثة؛ لسببين:

الاول/ انه درس (الحقيقة في المفرد) عند دراسته للمجاز وعرفها بقوله: (الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب)^{١٣١}، في حين درس (الحقيقة في الجملة) عند دراسته لأحوال الاسناد الخبري وسماها حقيقة عقلية وعرفها بقوله: (وهي اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر^{١٣٢})، على الرغم من ان بعض الباحثين عد هذا تشبثا للموضوع (الحقيقة)، وانه كان الاجدر به ان يدرسهما في موضع واحد عند دراسته للمجاز^{١٣٣}، واكتفوا بوصف منهج القزويني دون النظر في امكانية وجود سبب دفعه الى اختيار هذا المنهج، ولعل السبب في بحثه (الحقيقة في المفرد) في مباحث البيان، وبحثه (الحقيقة في الجملة) في مباحث المعاني؛ عده الاسناد، منه ما هو حقيقة عقلية، ومنه ما هو مجاز عقلي^{١٣٤}، اي ان عملية اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، هي الحقيقة العقلية، وهي عملية تدخل في شأن التركيب وهي مسألة تتعلق بعلم المعاني؛ لذلك بحث الحقيقة في الجملة في علم المعاني، واما بحثه الحقيقة اللغوية، مع المجاز العقلي وفي مباحث علم البيان، فلعل اعلى ذلك من وجهة نظر القزويني؛ بان علم البيان . بحسب تعريفه . علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه^{١٣٥}. وان اتيانه الحقيقة والمجاز العقليان في علم البيان نظرا لانهما

نفس اللفظ لا من احواله^{١٣٦}، لذلك يرى احد الباحثين ان التصرف العقلي في علم المعاني اظهر من التصرف اللغوي، فناسبه ذكر الحقيقة والمجاز العقليين في علم المعاني^{١٣٧}، والثاني/ انه ببحثه (الحقيقة العقلية) التي اعتبرها قسم من اقسام الاسناد^{١٣٨}، والتي تساوي عنده، اسناد الفعل او معناه الى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، ليشمل ما يطابق اعتقاد هذا المتكلم مع الواقع وما لا يطابق اعتقاده من ذلك الواقع^{١٣٩}، وذكره اربعة اضرب^{١٤٠} تمثل نوع حالة المطابقة لذلك الاعتقاد، وهي: ما يطابق الواقع واعتقاده، كقول المؤمن: (انبت الله البقل). وما يطابق الواقع دون اعتقاده، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: (خالق الافعال كلها هو الله). وما يطابق اعتقاده دون الواقع، كقول الجاهل: (شفى الطبيب المريض) معتقدا شفاء المريض من الطبيب. وما لا يطابق شيئاً منهما، كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالماً بحالها دون المخاطب، كأنه نقطة من النقاط التي تنطلق منها الاسلوبية؛ مفيدة من المكون التداولي في نسق الصور البلاغية القديمة، ذلك النسق الذي يستند الى مبدئين هما: الانزياح والاثار الانفعالي، اذ يقترح احد الاسلوبيين نموذجاً يضم مكوناً دلالياً يسمح بمعالجة التنوعات التي انتجها النموذج الانزياحي، بطريقة مختلفة وتبعاً لمقصديتها^{١٤١}.

وهنا نراه يقترب كثيراً من القزويني في اهتمامه بـ (المتكلم) وهو طرف في تحقق عنصر التداولية في بلاغتنا العربية، فيفترضان الصورة البلاغية هي الحدة اللسانية التي تشكل انزياحاً، وبذلك يكون فن العبارة (elocution) نسقاً من الانزياحات اللسانية، وانه يمكننا ان نميز ثلاثة اصناف من الانزياحات:

- ١/ انزياح في التركيب (العلاقة بين الدلائل)، ويفترض هذا النوع حضور نموذج نحوي.
- ٢/ انزياح في التداول (العلاقة بين الدليل والمرسل والمتلقي)، ويفترض حضور نموذج تواصل.
- ٣/ انزياح في الدلالة (العلاقة بين الدليل والواقع)^{١٤٢}، ويفترض حضور نموذج للواقع، واعتقد ان هذا النوع من الانزياح هو نفسه ما اراد القزويني استنتاجه من بحثه الحقيقة العقلية بمشاركة عنصر (المتكلم)، وعنصر (مدى مطابقة الكلام لاعتقاد المتكلم مع الواقع).

يعرف القزويني المجاز بانه: (اسناد الفعل او معناه الى ملابس له غير ما هو بتأول).^{١٤٣} وبالمقارنة مع تعريف الشيخ الجرجاني له وهو: (كل كلمة اريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين ما تجوز بها اليه وبين اصلها الذي وضعت له في وضع واضعها)^{١٤٤}.

نلاحظ ان القزويني اكثر توفيقاً في تعريف المجاز من سابقه، واكثر اقترباً من مباحث الاسلوبية؛ لان تعريفه يتضمن اشارات واضحة تخص اطراف التواصل اللغوي، ففي قوله عن المجاز بانه: اسناد الفعل او معناه الى ملابس له غير ما هو بتأول^{١٤٥}، اشارة الى ان من يعنى بتحقيق المجاز العقلي في (الاسناد)^{١٤٦}، هو الشخص الذي يعنى بإسناد الفعل الى مسند اليه، وفق سياق يمكن به تحقق المطابقة، مع مقتضى الحال، والتي يتكفل بها علم (المعاني)، اي ان القزويني يجعل عملية اسناد (الفعل) او معناه

. في اسلوب المجاز . الى ملابس له غير ما هو بتأول، تقع على عاتق (المتكلم)، في حالة تحقيقه الخروج عن الحقيقة الى ذلك الاسلوب. والمعلوم ان الانسان هو الذي يتحكم في لغته وهو سيدها، وليست سيدته، وحاجة المتكلم المبدع تدعوه وفق سياقات معينة الى احداث نوع من الفوضى في العلاقات اللغوية، وتحطيم ذلك التعسف في الربط بين اللفظة ومدلولها، وتلك الفوضى المستحدثة تتحول لتخلق نظاما جديدا يطلق عليه كلمة (مجاز)^{١٤٧}. بينما في تعريف الجرجاني نرى اننا معرضون للوقوع في مأزق الاختلاف في الواضع الاصلي للغة ، على الرغم من ان احد المحدثين قرأ كلمة (واضع) في تعريف الجرجاني باعتبار ان الوضع المتجدد عملية ابداعية يقوم بها منشيء محدد، كأن يكون شاعرا، او خطيبا، له سيطرة على اللغة وامكاناتها^{١٤٨}. ولولا ما هو معروف عن الجرجاني برؤيته الفنية، واستدراكه على التعريف بقوله: (وان شئت قلت: كل كلمة جرت بها ما وقعت له في الاصل الى ما لم توضع له من غير ان تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها اليه وبين اصلها الذي وضعت له في وضع واضعها)^{١٤٩}، لفسر الباحث نفسه كلمة(واضع) على انها: كلمة جاءت بصيغة نكرة وتدل على ان (الواضع) مجهول الاصل كما هو مطرد في تحديدات المجاز والحقيقة في البلاغة القديمة^{١٥٠}. ولا علاقة له بأسلوب الانتقال بالإسناد من الحقيقة الى المجاز. اما تعريف السكاكي للمجاز العقلي فهو: الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل، افادة للخلاف لا بوساطة وضع ، كقولك: انبت الربيع البقل، وشفى الطبيب المريض، وكسى الخليفة الكعبة)^{١٥١}. ولم يفرق السكاكي بين المجاز العقلي وبين المجاز اللغوي كما فعل الجرجاني والقزويني، فهو لا يرى ضرورة الى تقسيم المجاز الى لغوي وعقلي، ويرى ادراج هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية، ويجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى الاستعارة، وجعل نسبة الانبات اليه قرينة في الاستعارة^{١٥٢}. وقد اعترض عليه القزويني في ذلك^{١٥٣}. وقد كان اقرب الى فهم بنية المجاز من السكاكي^{١٥٤}

اذن في تعريف القزويني للمجاز العقلي اشارات الى (المتكلم)، والى النص باعتباره، الارضية التي يتحقق عليها مثل اسلوب المجاز، وباعتبار ان الانحراف الذي يحصل في النص، واختراق الاستعمال المألوف للغة، وتجاوزه يشكل اساس الدراسة الاسلوبية^{١٥٥}، ومن هذه الانحرافات هو العدول في الكلام من الحقيقة الى المجاز، والذي يعد شكلا من اشكال الانحراف اللغوي، غير انه انحراف ليس على المستوى الاستبدالي اي ان الكلمات لم تستخدم في غير معناها الحقيقي وانما يقع على المستوى التوزيعي او التركيبي، اي في عملية اسناد الفعل الى الفاعل بطريقة تخالف المعهود، وتبقى الكلمات مستعملة في معانيها الحقيقية^{١٥٦}، ويمكن ان نعد هذا سببا من الاسباب التي جعلت القزويني يبحث المجاز العقلي في باب الاسناد.

قبل ان تنتهي رحلتي في البحث عن الملاحح الاسلوبية في بلاغة القزويني، استوقفني انه بعد ان اتم البحث في الحقيقة والمجاز العقليين، قام ببحث (احوال المسند اليه)، وما لفت نظري في ذلك انه بحث (حذف المسند اليه) قبل بحث (ذكر المسند اليه)، فوجدت في ذلك مؤشرا اسلوبيا آخر فيما يخص النص. فبدلا من ان يدرس القزويني (ذكر المسند اليه) وهو المؤلف في الدراسات الكلاسيكية القديمة، قام بتقديم حذفه عليه، وفي ذلك مؤشر على اهتمام القزويني بالحذف ؛ وقد تكون لها علاقة بما فسره احد المحدثين المفلقين، بان البلاغيين في علم المعاني قد اتجهوا اتجاها معاكسا لاتجاه علماء النحو، فعلماء البلاغة بدأوا من منطلق المعنى بحثا عن المبنى، بينما اتجه النحويون في تعاملهم مع الظاهرة اللغوية من المباني وترتيب الكلمات الى المعنى، فعلم المعاني يبدأ من المعنى، ولأمر ما قال البلاغيون: لكل مقام مقال، فالمعنى هو الذي يقتضى الذكر او الحذف، والاظهار او الاضمار..^{١٥٧}، وهذا ما لحظته في باب حذف المسند اليه عند القزويني ؛ اذ اخذ بذكر الاغراض التي يحذف فيها المسند اليه..^{١٥٨} ووجدت ان احد المحدثين درس قضية (الحذف والذكر)، بهذا الترتيب، اي انه قدم الحذف على الذكر، مشيرا الى ان البلاغيين قد تناولوا في مباحث علم المعاني سياقات الكلام التي يرد فيها حذف احد اطراف الاسناد؛ من منطلق ان النظام اللغوي يقتضي في الاصل ذكر هذه الاطراف، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط احدها اعتمادا على دلالة القرائن المقالية، او الحالية..^{١٥٩}، مما يعني ان للكلام شكلين: شكل نظري، معياري، وشكل تطبيقي عملي، وكأن الاخير يشكل الاصل من المنظور الواقعي، باعتباره المتحقق في النتيجة، والكلام النظري او المعياري هو الكلام المفترض حصوله وفق معايير قد لا تتحقق تبعا لظروف وملابسات تحيط به.

المهم ان التراكيب النحوية هي اولى بان تكون مجالا للدرس الاسلوبي، فما يقرره علم النحو من البدائل المتاحة امام الاديب قدر غير قليل من التراكيب الصحيحة وان تكون متفاوتة الدرجة من حيث القبول، ويبقى على دارس الاسلوب ان يتناول تلك البدائل الصحيحة ويعرض لما يجده شائعا منها لدى الاديب، ويبين مبلغ اقترابه او ابتعاده من النمط المؤلف في الاستعمال العام..^{١٦٠}. وحذف المسند اليه في رأي القزويني، يكون اما لمجرد الاختصار بوجود قرينة دالة عليه، واما للاختصار مع ضيق المقام، واما لتخيل ان في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي تركه تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، واما...^{١٦١}، الى ان ينتهي من اغراض حذف المسند اليه بقوله: واما لاعتبار آخر مناسب لا يهدي الى مثله الا العقل السليم والطبع المستقيم..^{١٦٢}. وكأنه يريد القول بانه: للذوق الناتج عن عقل سليم وطبع، لا شائبة تشوبه فتشوه نظرته الى الاشياء، اثر في امكانية ادراك اعتبارات اخرى وراء حذف المسند اليه ، والتي قد لا يستطيع من لا يحمل هذه المواصفات من ادراكها، مما يعني انه لا يمكن فنيا حصر مواضع

هذا الحذف لأنها ليست تقعيذا منطقيا مقننا، وانما هي مواقف فنية ندرکها من الموقف كله^{١٦٣}، وعليه لا وافق احد الباحثين في ان البلاغيين يرون ان العقل سوف يتخيل المسند اليه المحذوف في قول الشاعر:

قيل لي: كيف انت؟ قلت عليل سهر دائم وحزن طويل.

وانهم يرون ان الاصل (انا عليل)، وان هذا التفسير غير مقنع، واننا نستطيع ان نرى فيه ما لم يروه^{١٦٤}، وشاهدي على ذلك قول القزويني: واما لاعتبار آخر لا يهدي الى مثله الا العقل السليم والطبع المستقيم^{١٦٥}، بعد ان ذكر الاغراض المعروفة التي يخرج اليها حذف المسند اليه، وذكر بعد كلامه هذا شاهدا على كلامه، وهو قول الشاعر الذي ورد ذكره، كدليل على اهمية الذوق والطبع السليم، في معرفة السياق الذي يتصل بالمتكلم في مجال الابداع، وارتباطه بالموقف النفسي الذي يعايشه، كأن يكون في حالة وجع وألم^{١٦٦}، كما في البيت الوارد انفا، فالقزويني لم يقصد من العقل السليم، والطبع المستقيم ان يكونا اداة لاكتشاف موضع المسند اليه المحذوف من الكلام، بل الاغراض الاخرى التي يمكن ان تؤدي الى حذف المسند اليه، غير ما ذكره سابقا من اغراض حددها وبهذا تنتهي رحلتي في البحث في بلاغة القزويني على مستوى الدراسات البلاغية الحديثة، سائلة من الله التسديد والتوفيق فيما كتبت. .

الهوامش:-

- ١ . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى، محمد عبد المطلب: ١٨.
- ٢ . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى، محمد عبد المطلب: ١٨.
- ٣ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح زكي ابو حميدة، ٢٠٠٧ .
- ٤ . ينظر : البلاغة والاسلوبية، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت: ٢٣.
- ٥ . دلائل الاعجاز: ٦٢٨.
- ٦ . ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس، مشروع قراءة، حمادي صمود: ٥٥٢.
- ٧ . البيان والتبيين: ١/ ٧٦.
- ٨ . ينظر: التفكير البلاغي عند العرب: ١٦٨.
- ٩ . ينظر: البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، محمد كريم الكواز: ٢٦٩.
- ١٠ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ٣٥٣.
- ١١ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي، محمد صلاح زكي ابو حميدة: ٩، ٢٠٠٧م.
- ١٢ . ينظر: تيسير البلاغة في كتب التراث، بن عيسى با طاهر: ٣٣.
- ١٣ . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد: ١١.
- ١٤ . ينظر: الايضاح: ١/ ١٧.
- ١٥ . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٢٢٤.
- ١٦ . ينظر: الايضاح: ١/ ٤١، و: ٤٩.
- ١٧ . ينظر: الايضاح: ١/ ١٩.

- ١٨ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي: ١٧١.
- ١٩ . ينظر: البلاغة والاسلوبية ، هنريش بليث: ٢٤.
- ٢٠ . المصدر نفسه.
- ٢١ . الايضاح: ٨٠ / ١.
- ٢٢ . ينظر: الايضاح: ٨١ / ١.
- ٢٣ . ينظر: الايضاح: ٨١ / ١.
- ٢٤ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ١٩٥.
- ٢٥ . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ١٩٥، و: P. strctur de langage poetique. Paris, Flammarion 1966. . 99: j. cohen
- ٢٦ . ينظر: علم اللغة العام: فرديناند سوسير، ت د. يوثيل يوسف عزيز، افاق عربية، ١٩٨٥: ٣٨، وينظر: البلاغة والاسلوبية: ٢٧.
- ٢٧ . ينظر: الايضاح: ٨٨ / ١.
- ٢٨ . ينظر: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير: ٣٢، ٣٨. ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، افاق عربية ١٩٨٥ م
- ٢٩ . ينظر: مدخل الى علم اللغة، محمود فهمي حجازي: ١١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٠ . المصدر نفسه: ١٢.
- ٣١ . ينظر: الايضاح: ٤٠ / ١.
- ٣٢ . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٥٧.
- ٣٣ . ينظر: تأصيل الاسلوبية في الموروث البلاغي والنقدي، كتاب مفتاح العلوم انموذجا: ٦
- ٣٤ . ينظر: الايضاح: ٤٠ / ١.
- ٣٥ . ينظر: علم الاسلوب، احمد الشايب: ٩٩.
- ٣٦ . المصدر نفسه.
- ٣٧ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، هنريش بليث: ٢٤،
- ٣٨ . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٧٠.
- ٣٩ . الايضاح: ٤١ / ١.
- ٤٠ . ينظر: البلاغة والفصاحة لغة واصطلاحا: ٥٨.
- ٤١ . البيان والتبيين: ١ / ١٣٨.
- ٤٢ . الايضاح: ٤١ / ١.
- ٤٣ . ينظر: الاصول، دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ،تمام حسان: ٣٣٩،
- ٤٤ . ينظر: الاصول، تمام حسان: ٣٣٩.
- ٤٥ . المصدر نفسه.
- ٤٦ . معجم المصطلحات البلاغية: ٢٩٦ / ٣.
- ٤٧ . الايضاح: ٥٥ / ١، وينظر: البلاغة عند السكاكي، احمد مطلوب: ٣٧٩.

- ٤٨ . الايضاح: ٥٥/١.
- ٤٩ . ينظر: البلاغة العربية، قراءة اخرى: ٧٠.
- ٥٠ . ينظر: البلاغة العربية ، قراءة اخرى :هامش رقم (٥٦) من ص ٧١.
- ٥١ . المصدر نفسه: ٧٠.
- ٥٢ . الايضاح: ٤١.
- ٥٣ . ينظر سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي: ٦٠. ومعجم المصطلحات البلاغية: ١١٣.
- ٥٤ . ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى: ٧.
- ٥٥ . المصدر نفسه : ٧١.
- ٥٦ . المصدر نفسه: ٧١.
- ٥٧ . ينظر: الايضاح: ٢/ هامش: ٨١.
- ٥٨ . التوحيد: ١.
- ٥٩ . المؤمنون: ١١٧.
- ٦٠ . الحج: ٤٦.
- ٦١ . الايضاح: ٨٢ / ٢.
- ٦٢ . ينظر: خصائص التراكيب، د. محمد ابو موسى: ٢٤٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٤، ١٤١٦، وينظر: بلاغة التعريف عند عبد القاهر والسكاكي والقزويني وبعض المعاصرين، د. ابراهيم بن منصور التركي: ٨ ، كلية العلوم العربية والاجتماعية بجامعة القصيم
- ٦٣ . ينظر: البنية الاسلوبية في التراكيب النحوية، مهدي حمد مصطفى عبد الله ال سيد علي العاني: ١٨٨، ١٨٩، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب بجامعة بغداد، ٢٠٠٣.
- ٦٤ . ينظر: النص والاسلوبية بين النظرية والتطبيق، دراسة، عدنان بن ذريل: ١٥، ١٧.
- ٦٥ . الاسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدي: ٩٠.
- ٦٦ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي: ٥٤.
- ٦٧ . المصدر نفسه: ٩٣.
- ٦٨ . ينظر: علم الاسلوب، صلاح فضل: ١٠٠.
- ٦٩ . ينظر: الاسلوبية والبيان العربي: ٢٢، ٢٣.
- ٧٠ . ينظر البلاغة العربية قراءة اخرى: ١٨٦.
- ٧١ . ينظر: المصدر نفسه.
- ٧٢ . ينظر: علم الاسلوب، مبادؤه واجراءاته، صلاح فضل: ١٨٨.
- ٧٣ . المصدر نفسه.
- ٧٤ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي: ٥٣.
- ٧٥ . هم بالي، وجاكبسون
- ٧٦ . ينظر: الايضاح : ١ / ٢١.

- ٧٧ . المصدر نفسه: ٢٢.
- ٧٨ . ينظر: النص والاسلووية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل: ٤٦، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠.
- ٧٩ . ينظر: النص والاسلووية بين النظرية والتطبيق: ٤٣، ٤٤.
- ٨٠ . . ينظر: الايضاح: ٢٨ / ١.
- ٨١ . ينظر: الايضاح: ٣٦ / ١.
- ٨٢ . ينظر: الايضاح: ٣٧ / ١.
- ٨٣ . مسند أحمد: ٩٦/٢، صحيح الترمذي: ٣١١٦، بحار الانوار: ٢١٨/١٢.
- ٨٤ . ينظر: البلاغة والاسلووية، محمد عبد المطلب: ٢٩٠، ٢٩٦.
- ٨٥ . ينظر: الايضاح: ٦٩ / ١.
- ٨٦ . ينظر: الايضاح: ٦٩ / ١، بتصرف.
- ٨٧ . المصدر نفسه.
- ٨٨ . ينظر: البلاغة والاسلووية، هنري بليث: ٢٦، ٢٧.
- ٨٩ . ينظر: الايضاح: ٦٩ / ١.
- ٩٠ . ينظر: الايضاح: ٧٠ / ١.
- ٩١ . يس :
- ٩٢ . ينظر: جمالية الخبر والانشاء، دراسة بلاغية جمالية نقدية، د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٥.
- ٩٣ . شرح ديوان الفرزدق، عنى بجمعه وشرحه والتعليق عليه عبد الله الصاوي: ١٥٤.
- ٩٤ . ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م، ١٦٥.
- ٩٥ . ينظر: جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، د. حسين جمعة:
- ٩٦ . الايضاح: ٤١ / ١.
- ٩٧ . الايضاح: ٤٢ / ١.
- ٩٨ . الايضاح: ٤٣ / ١.
- ٩٩ . ينظر: علم اللغة العام (الاصوات) : ٢١٦.
- ١٠٠ . ينظر: البنية الاسلووية في التراكيب النحوية : ١٨٦،
- ١٠١ . ينظر: الايضاح: ٤٤ / ١.
- ١٠٢ . ينظر: المعاني، علم الاسلوب: ١٩٦، ١٩٧، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.
- ١٠٣ . ينظر: الايضاح: ٧١ / ١.
- ١٠٤ . ينظر: الايضاح: هامش: ٧١
- ١٠٥ . ينظر، الايضاح: ٧٢ / ١.
- ١٠٦ . ينظر: البلاغة والاسلووية، دراسة تحليلية:
- ١٠٧ . ينظر: البلاغة والاسلووية، دراسة تحليلية: ٣٣، ٣٤.

- ١٠٨ . ينظر: تعليق محمد عبد المنعم خفاجة على الايضاح: ٧١.
- ١٠٩ . ينظر: جمالية الخبر والانشاء: ٥٥.
- ١١٠ . ينظر: الايضاح: ٧٢، ٧٤، ٧٥.
- ١١١ . هود: ٣٧.
- ١١٢ . ينظر: جمالية الخبر والانشاء: ٥٦.
- ١١٣ . يوسف: ٥٣.
- ١١٤ . ينظر: الايضاح: ٧٣ / ١.
- ١١٥ . ينظر: جمالية الخبر والانشاء: ٥٧.
- ١١٦ البقرة: ٢.
- ١١٧ . المؤمنون: ١٥.
- ١١٨ . ينظر: النص والاسلوبية بين النظرية والتطبيق: ٤٨.
- ١١٩ . ينظر: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز دراسة في المجاز الاسلوبي واللغوي، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٦: ١٧.
- ١٢٠ . ينظر: المصدر نفسه: ١٧.
- ١٢١ . يوسف: ٥٣.
- ١٢٢ . ينظر: التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي: ١٥٥ / ٦.
- ١٢٣ . ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ١٥٦ / ٦.
- ١٢٤ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، هنريش بليث: ٦٧.
- ١٢٥ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، هنريش بليث: ٢٣.
- ١٢٦ . ينظر: تأصيل الاسلوبية في كتب التراث، مفتاح العلوم انموذجا: ٥٤.
- ١٢٧ . الايضاح: ٨٠ / ١.
- ١٢٨ . الايضاح: ٨٦ / ١.
- ١٢٩ . ينظر: الايضاح: ٨١ / ١.
- ١٣٠ . ينظر: الايضاح: ٨٠ / ١ هامش : ٨٠.
- ١٣١ . الايضاح: ٤ / ٥.
- ١٣٢ . الايضاح: ٨٠ / ١.
- ١٣٣ . ينظر: المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني والقزويني في كتابيهما الاسرار والتلخيص، دراسة مقارنة، حيدر حسين عبيد: ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م: ١٤٧، ١٤٨.
- ١٣٤ . ينظر: الايضاح: ٨٠ / ١.
- ١٣٥ . الايضاح: ٤ / ٤.
- ١٣٦ . ينظر: حاشية الفري على المطول: ١٩٢، و: استدركات السعد على الخطيب: ٧٤.
- ١٣٧ . ينظر: استدركات السعد على الخطيب: ٧٥.
- ١٣٨ . ينظر: استدركات السعد على الخطيب: ٧٤.

- ١٣٩ . ينظر: الايضاح: ٨٠ / ١.
- ١٤٠ . ينظر" الايضاح: ٨١ / ١.
- ١٤١ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، دراسة تحليلية: ٦٥، ٥٧.
- ١٤٢ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، دراسة تحليلية: ٦٦.
- ١٤٣ . الايضاح: ٨٦/١.
- ١٤٤ . اسرار البلاغة: ٣٠٤.
- ١٤٥ . ينظر: الايضاح: ٨٦ / ١.
- ١٤٦ . القزويني عد المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي هو الاسناد، بينما عد السكاكي الكلام هو المسمى لكلاهما .
- ١٤٧ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ٦٨.
- ١٤٨ . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٧٠.
- ١٤٩ . ينظر: اسرار البلاغة: ٣٠٤.
- ١٥٠ . ينظر: البلاغة والاسلوبية: ٧١.
- ١٥١ . المفتاح : ٦٢٧.
- ١٥٢ . ينظر: المفتاح: ٦٣٦.
- ١٥٣ . ينظر: الايضاح: ٩١/١.
- ١٥٤ . ينظر : البلاغة والاسلوبية عند السكاكي: ٣١٦.
- ١٥٥ . ينظر: تأصيل الاسلوبية في كتب التراث: ٤٧.
- ١٥٦ . ينظر: البلاغة والاسلوبية عند السكاكي: ٣١٦.
- ١٥٧ . ينظر: الاصول، دراسة ابستمولوجية لأصول الفكر اللغوي: ٢٤٤.
- ١٥٨ . ينظر: الايضاح: ٤ / ٢.
- ١٥٩ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ٣١٣.
- ١٦٠ . ينظر: الاسلوب والنحو، دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الاسلوبية ببعض الظواهر النحوية، محمد عبد الله جبر: ٧، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
- ١٦١ . الايضاح: ٤ / ٢، ٥.
- ١٦٢ . الايضاح: ٥/٢.
- ١٦٣ . ينظر: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ٧٩، ط٢.
- ١٦٤ . ينظر: فلسفة البلاغ بين التقنية والتطور: ٨١.
- ١٦٥ . الايضاح: ٥ / ٢.
- ١٦٦ . ينظر: البلاغة والاسلوبية، محمد عبد المطلب: ٣٢٤.
- تاريخ تسليم البحث :- ٢٠١٥/٥/١٨
- تاريخ قبول النشر :- ٢٠١٥/٦/٢٢